روايـــــــــة

قصـة حب مصرية

سعيـــــــد ســـــالم

الزمـــــــــــن

****

سوف أظل مصدر حيرة للبشرية الى أبد الآبدين. أنا لاوطن لى ولادين ولاأصل ولا انتماء.فى الأساطير اليونانية القديمة جعلوا منى الها أسموه"كرونوس". كان هذا الاله يلتهم أبناءه فى إشارة صريحة لاستيعابه لكل البشر والأحداث، لكن أحدا لم يستطع أن يستوعبنى حتى اليوم فيعرف حقيقتى إن كنت نسبيا أم مطلقا. خطيا أم دائريا.ذاتيا أم موضوعيا. هل أنا الماضى أم الحاضر أم المستقبل أم اللحظة الآنيّة التى ان فاتت لاتعود ولا تسترجع. لايستطيع أحد أن يوقفنى أو يرجعنى الى الوراء. أنا كالموت حق على كل حى أعمل عملى فى كل موجود ، وأنخر كالسوس فى باطن كل كائن محدود من خلال تعاقبى الأزلى الأبدى. يصفنى البشر بالغدر وما أنا بغادر ولكنى متقلب لا أملك من أمرى فى ذلك الطبع شيئا، وإنما تملكه الأقدار التى لا أستطيع أنا أو غيرى أن نتحدى ارادتها.

حين أغفل – وكثيرا ما أغفل – ينقض الحب فجأة على ضحاياه فلا يملكون منه فكاكا. وكل شىء فى هذا الكون يمكن أن يتحداه الانسان محاولا التغلب عليه بالحيلة مرة وبالقوة مرة ، إلا الحب فإنه يفرض نفسه قدرا لايقبل التحدى أو الخسارة فى بحر العواطف والأحاسيس.

الحب فوق القانون ، ومن الصعب أن يحتفظ الانسان بحكمته بعد أن يقع فى الحب ويخضع لقوانينه.علاقتى بالحب علمتنى أنه أحد طلاسم الجنون، ومالم يصبح المرء مجنونا لايمكنه فك تلك الطلاسم التى لاتبوح بأسرارها الا للمجانين، وإن صار الحب عشقا فلن يفهم شرائعه سوى من يبتلون بداء العشق. عالم المحبين خارج عن حدود الوعى، عالم مكوناته من عوالم روحية تتخذ السماء مسكنا لها لتعيد بناء مكونات روحين فى روح واحدة وجسدين ، وأنا الشىء الوحيد فى هذه الحياة الذى يستطيع أن يكشف عن حقيقة مشاعر البشر وعمقها فى دنيا الحب الغامضة.

قال "فيدروس" فى مأدبة أفلاطون الحوارية أن الحب هو أقدم الآلهة فى الكون ، فأول الموجودات كان العماء ثم كانت الأرض ذات الصدر الرحب، وهى الأساس الأكيد لكل الأشياء، ثم الحب ، فهو التعمير وهو الحياة وهو الخير كله".. وقال محاور آخر "ان الحب لا يوصف بأنه خير فى ذاته، كما لايمكن أن يوصف بأنه شرّ فى ذاته ،كذلك لايمكن أن يوصف بأنه اله ، ولا شيطان. انه وسط بين الآلهة والبشر، ووسط بين الخالد والفانى. هو جرىء قوى قناص ، لايهاب شيئا ، ولوع بالابتكار لاتنفد حيله، سفسطائى لايضارع، ليست له طبيعة الخالدين ولا الفانين ، قد يكون فى اليوم الواحد متمتعا بالحياة على أتم نضرة ، فإذا به يموت فجأة، وربما يحيا من جديد بعد أن تنجح حيله التى لانهاية لها". أما أفلاطون فقد قال:" لست أدرى ما الهوى، غير أنى أعلم أنه جنون الهى لامحمود ولا مذموم. وقال رجل صوفى:" من المحبة الطبيعية يرتقى أهل المقامات الى ما هى أعلى منها حتى ينتهى الى المحبة الالهية ، شريطة أن تكون النفوس الحاملة لها لطيفة التركيب صافية الجوهر تتمتع برقة الطبع وأريحية النفس ونورانية الروح".

من وحى علاقتى بالحب أحببت هذين العاشقين حبا شديدا وتمنيت ثم أردت ثم قررت أن أجعلهما يعيشان فى سعادة حتى نهاية العمر، وألا أقف حائلا بينهما وبين تلك السعادة فى يوم من الأيام. . لقد أصبحت أنساب فى نسيج حياتهما الداخلية كما تنساب المياه فى مجرى النهر أو كما ينساب الضوء فى الفضاء. أنا مثيل لواقعهما النفسى ، أركض عندما يكون هذا الواقع غنيا حافلا فأهرول معه وأسرع، أما اذا كان هذا الواقع مجدبا فأنا أحبو معه زاحفا ببطء شديد. بدأت حكايتى معهما فى الاسكندرية حين عين للمدينة الساحرة محافظ شاب عسيا بضخ دماء شابة فى عروق الحكم المحلى المترهل، لكن أملى فيه خاب كثيرا فقررت التخلص منه بإثارة السكندريين ضده بأن بعثت بسيول هائلة من الأمطار أغرقت المدينة ولم يستطع أن يفعل حيالها شيئا ، فكان أن قدم استقالته وهرب.

كانت شواطىء الاسكندرية و"برجولاتها" فى الزمن الماضى مرتعا جميلا للأحبة والعشاق. حتى الفقراء منهم كان رصيف البحر الجميل مجلسا هنيئا لهم . منذ ثورة يناير انقلب حال المدينة فصارت نموذجا حيا للقبح والقذارة ، وأنا لست أريد أن أنجرّ الى الكلام فى السياسة فهذا ليس موضوعى ، ولكن من حقى أن أعبر عن حزنى الشديد لما آلت اليه أجمل وأحب المدن الى قلبى فى مصر الغالية.

كان لابد أن تعود عاصفتى بالخير على الحبيبين المفضلين عندى عن كل عشاق المدينة الحالمة فهما نموذجان غير عاديين من البشر ولا يستحقان منى الا العون والمساعدة. انتهزت الفرصة فجمعت بينهما فى لمح البصر على رصيف كلية الآداب. ثم بكل ما أوتيت من جبروت وقدرة على التقلب والتحول ، استدعيت كيوبيد ليحقق لى مأربى . جاءنى يحمل كنانتيه. يحتفظ فى الأولى بسهامه الذهبية التى حين يرشق بها قلوب البشر فإنها تفيض حبا وصبابة ، ويحتفظ فى الثانية بسهامه الرصاصية التى يصيب بها بعض القلوب فيملأها بغضا وكراهية.

أطلق كيوبيد سهمين ذهبيين أحدهما فى قلب لبنى سعيد والآخر فى قلب شوقى الراهب، وبدأت قصة الحب تفوح برائحة من روائح الجنة تحت رعايتى وبمباركة منى الى أجل غير مسمى .

****

شوقـــى الراهب

****

سيل من المطر ينهمر غزيرا كالطوفان بصورة غير مسبوقة منذ عشرات السنين. شوارع الاسكندرية الجميلة وأزقتها الوديعة وطرقاتها الفريدة ، تغرق جميعا فى المياه التى وصلت الى منسوب عال يستحيل معه عبور المشاة على أقدامهم. افتقد المطر بهجته وضاع الاحساس بكونه رمزا للنظافة والغسيل والتطهر. اختلاط التراب بالمطر غطى وجه الحياة فى الاسكندرية بطبقة غبية من الطين. سكان بعض المناطق كانوا ينتقلون من رصيف الى آخر باستخدام قوارب صغيرة لايعرف أحد من أين جاءت ولا كيف وجدت، فى نموذج ساخر للقدرة المصرية الفائقة على التحايل على الحياة فى أى ظرف من الظروف وبمنتهى البساطة والسرعة. فى الأحياء الشعبية استحدثت مهنة جديدة من واقع الحال المزرى ، إذ تخصص نفر من الشباب فى حمل المشاة على أكتافهم، رجالا ونساء بلا حرج لعبور الطريق لقاء جنيهين للكبار، وجنيه واحد للصغار أى بسعر بيضة واحدة. شبكات الصرف متهالكة مهملة دون صيانة. بالوعات الصرف مسدودة منذ شتاء العام الماضى. الحكم المحلى مضرب عن العمل منذ ثورة يناير والسبب غير مفهوم . معشوقى ثائر غاضب يقذف بأمواجه العالية الى الشارع ليزيد الطينة بلة. القمامة تطفو على سطح الماء بشكل زخرفى حقير.

أنا ولبنى سعيد الكاتبة الشهيرة واقفين فى حيرة على رصيف كلية الآداب عاجزين عن التصرف. لبنى يائسة تماما من إمكانية العبور، رغم أن شعبنا أعطى درسا عسكريا للعالم عام1973 فى فن العبور. لم أكن يائسا على الاطلاق.كنت أعمل ذهنى فى البحث عن حل عملى ينهى هذه المأساة. واثق أننى لن أعجز عن التوصل الى وسيلة. أما محافظ الاسكندرية الأنيق الذى هبط عليها من جامعات أمريكا، فلم يكن لديه فكرة عن أى حل ينقذ به مدينته من الغرق فى الوحل والمطر. ترك أهل الاسكندرية يواجهون الأزمة بمعرفتهم. لكنهم لم يسمحوا له بالبقاء محافظا على مدينتهم رغم تشبثه بمقعده فى عناد وبقوة. لم يتركوا وسيلة لمحاربته ، حتى فى مواقع التواصل الاجتماعى حيث كانوا يطلقون عليه النكت الساخرة بلا توقف. يقول تاريخ مصر إنه ما دخل حاكم فى عناد مع الشعب المصرى إلا وقد خاب وخسر. هاهو الحجاج بن يوسف الثقفى يوصى بمصر والمصريين طارق بن عمرو حين تولى حكم مصر قائلا:

" لايغرنك صبر المصريين ولا تستضعف قوتهم فهم إن قاموا لنصرة رجل ماتركوه إلا والتاج على رأسه، وإن قاموا على رجل ماتركوه الا وقد قطعوا رأسه، فاتق غضبهم ولاتشعل نارا لايطفئها الا خالقهم".

ثورة المطر وهياج البحر وغضب الاسكندرانية ، كانوا شهودا على حالى وأنا واقف بجوار لبنى ، وكأنهم يتنبأون بما ستفعله بنا الأقدار ويدفعنا اليه تعاقب الأيام.

لبنى ترقب المشهد فى حالة من الدهشة والتعجب كطفلة تتفرج على مشهد سينيمائى غرائبى مثير. تتساءل كيف تسمح الفتيات والسيدات لهؤلاء الشباب العشوائيين أن يحملوهن على أكتافهم وظهورهم بهذه البساطة، مهما استحال إيجاد حل بديل آخر للعبور. كيف ضاع الحياء الى هذه الدرجة. كيف لهذا الكيان الانسانى المقدس الذى ينطوى عليه سر الحياة أن يعامل بهذه الكيفية الدونية؟.

أما أنا فأرقب المشهد باستمتاع خفى، لأنى أعرف كيف أقرأ جيدا لغة شعبنا وسلوكياته قراءة واعية.المصرى عندى مزيج انسانى نادر من الحضارات التاريخية الفرعونية واليونانية والرومانية والمسيحية والاسلامية ، والحضارات الجغرافية العربية والأفريقية والبحر أوسطية ، وإن كنت أميل الى المكون البحر أوسطى من ذلك المزيج الرائع الذى أعشقه. يستحيل أن يوجد لهذا المصهور الثقافى مثيل على كوكب الأرض. المصرى كائن يصعب توصيفه من خلال منظور أنثروبولوجى يمكنه أن يميز شعوب العالم عن بعضها البعض. المصرى باللغة الدارجة ليس له "ملكة"- بتسكين اللام- وليس له"كتالوج"، بمعنى أن أحدا لايستطيع أن يمسك به بشكل أو بآخر ولا يستطيع أن يملكه أيضا ، لأنه سوف يستعصى على

ذلك تماما، فهو يفكر فى شىء ويفعل شيئا آخر ويقول شيئا ثالثا ويتمنى شيئا رابعا. خطر ببالى فى تلك اللحظات أن أرقص على الرصيف على مرأى من الخلق تعبيرا عن نشوتى بثورة الطبيعة والجو المضبب وطغيان الماء وتحايل البشر على الحياة. تجول بخاطرى مقولة فيلسوف أعشقه:"من لايستطيع أن ينظر الى الأحياء والأشياء جميعا وفى كل عصور التاريخ ، بحيث يراها أشباحا وأوهاما، فليست لديه ملكة الفلسفة".. لو كان زوربا هنا لخلع ملابسه ورقص عاريا وسط الطريق، ولاستجاب السكندريون لفلسفته فى الحياة ، فرقصوا معه وصفقوا وضحكوا وابتهجوا بهذه المأساة.

تسألنى لبنى فى توتر ملحوظ:

- أيعجبك هذا المشهد يا دكتور؟
- الحق أنه يعجبنى جدا
- لم يعجبك؟
- لتفرده الشديد
- معقول؟!
- ناس يجدون حلا عمليا لمشكلة مستعصية عجز أولو الأمر عن التصدى لها. ما الغريب فى ذلك؟
- ألا ترى الرجال يحملون النساء كما تساق الخراف الى المذابح فى الأضحية؟.. الرجل على مستوياته كافة فى بلادنا ينظر الى المرأة باعتبارها غير مسئولة عن جسدها وليست حرة فى التعاطى معه كما تريد، مثلما كان المجتمع الاسبرطى يضع المرأة فى موضع مقارب للعبيد.
- معك حق، لكن هل عندك بديل؟
- لابد أن تكون هناك حلول يدبرها المسئولون الآن
- المسئولون؟!!..واضح أن رومانسيتك الحالمة فى تمثلياتك قد انعكست على نظرتك لمجتمعنا

اندفعت تتساءل بفرحة:

- هل تتابع مسلسلاتى يادكتور؟
- أتابع معظمها بقدر ما يسمح وقتى
- لو تابعت الكثير من أعمالى للاحظت أننى رغم رومانسيتى فإنى شديدة الواقعية، خاصة فى الدفاع عن حق المرأة فى جسدها الذى يمتلكه أبوها فى البداية ثم يملكه زوجها ثم ابنها ، بحيث تنتقل من العذرية الى الأمومة دون أن تلتقط أنفاسها ، وهى ان رغبت فى نيل حقوقها الجسدية كالرجل ، أصبحت فى نظره مريضة شريرة دونية سلبية..هكذا تحمل المرأة أمامنا – فى مهانة - على صدر الرجل وكتفيه بمنتهى البساطة دون أن يعترض أحد.
- أهنئك على هذه المحاضرة البليغة عن ظلم الرجل الشرقى للمرأة. لكن ما قولك ان لم يكن لديك وسيلة أخرى لعبور الشارع، فالمسئولون الذين تتوهمين وجودهم وتنتظرين تدبيرهم قد ماتوا فى بلادنا من زمان.
- أنا لايمكن أن أتصور بأى حال ومهما كانت النتائج أن يحملنى رجل غريب على كتفه هكذا.
- لقد تعبت من الوقوف لأكثر من ساعتين. لاحظى أننى عجوز فى السبعين، مضطر الى تأجير أحد هؤلاء الشباب ليحملنى قبل أن أقع من طولى.
- لكن يا دكتور.....

قبل أن تكمل جملتها وجدت نفسها فجأة محمولة على كتفى، إذ خطفتها على سهوة منها بقوة شاب فى الثلاثين. رحت أعبر بها الشارع ضاحكا من قلبى وقد وصلت المياه الى ركبتىّ ، بينما هى تصرخ كطفلة فى بهجة جنونية ، أغلب ظنى أنها مزيج من التعبير عن الرفض والرضا

والسعادة والاعجاب والدهشة، بينما يغمر المطر شعرها الأسود الغزير الطويل ووجهها الجميل وهى تصيح فى نشوة مستترة:

- غير معقول يا دكتور!!

عندما وصلنا الى الرصيف المقابل ، انفجرنا فى الضحك معا بهستيرية جميلة، قبل أن نفترق ليركب كل منا عربته الواقفة تحت شجرة وارفة غسلها المطر فبدت كعروس ليلة زفافها ، تتمايل أغصانها راقصة من النشوة. المنطقة كلها مخضرة بطلميّة الطابع سكندرية الروح . سمعت بلبلا يصدح بفرحة نفذت الى قلبى ففرحت.

وصلت الى البيت. مستقر هنائى وحيرتى. هنائى بمن أحببت فتزوجت، وحيرتى منها أيضا. كل شىء فى هذه الدنيا مزدوج أو ثنائى لايفهم مفرده بغير ارتباطه بالثانى ارتباط الأرض بالسماء. بستان السعدى.ستون عاما عمرها. درست الهندسة. حين تدرس المرأة الهندسة فإنها تصبح أكثر تميزا عن قريناتها اللاتى درسن الطب أو الآداب. جميلة الوجه سوداء العينين رشيقة القوام تبدو فى الأربعين على الأكثر.شعرها بنى قصير تسريحته غاية فى البساطة والأناقة. ملبسها بسيط معتدل ينم عن ذوق رفيع. ثقافتها العامة لابأس بها. اهتماماتها عائلية بالدرجة الأولى. زوجها وأبناؤها هم عماد حياتها. تميل الى التدين، لكنه تدين العوام البسيط ، لا تدين الخواص الواصلين أو تدين التجار الذين ينتظرون الأجر والثواب من الله نظير طاعتهم له. تزوجنا بعد قصة حب شهدتها أروقة ومدرجات كليتى الآداب والهندسة. كانت قصتنا مثار إعجاب البعض وحسد البعض الآخر. أدين لها بالفضل فى تقدمى ونجاحى فى تحقيق العديد من إنجازاتى الكبرى فى حياتى المهنية. كانت ومازالت حائط السد المنيع أمام كل ما يمكن أن يعيق حركتى فى الحياة. حبها قوى لكنه صامت. عظيم لكنه خفى. تبطنه ولا تظهره أبدا. ما من رجل يطمع فى زوجة مثالية مثل بستان السعدى التى أهدانيها الله بتوفيق منه لا عن براعة منى فى البحث والاختيار . رغم ذلك فهناك حلقة مفقودة بيننا. شىء غامض يفصل بينى وبينها كلوح زجاج معتم سميك. شىء يدفعنى دوما الى البحث عن مكمل لها لا عن بديل ، ففرحة القلب الأولى لا يمكن أن تستبدل أبدا. بذلت أقصى ما استطعت من محاولات ذهنية ونفسية حتى أتوصل الى ذلك الدافع الخفى الخبيث الذى لاينم إلا عن قلة تقديرى لمحبتها وعطائها وتفانيها فى إسعادى.هى معتدلة فى كل شىء حتى فى علاقتها بالجنس الذى يشكل بالنسبة لى أعز الشهوات الى قلبى وجسدى. طعامها صحى وقليل، لكنها تطهو لى طعاما خاصا طعمه لايقاوم ، إرضاء لحبى الشديد له ولاحتياجى الدائم الى تنوعه اليومى من لحوم وأسماك ودواجن مدعومة جميعها بمشهيات وتوابل لاحصر لها. تكثر لى من الملح والشطة بناء على طلبى. ذات ليلة قررت فجأة أن أتناول عشائى من الفسيخ المخزون لدينا فى زيت الزيتون والخل والليمون. كان الوقت يقترب من منتصف الليل. حذرتنى من سوء عاقبة هذا الجنون لكنى لم أعبأ بتحذيراتها. أكلت بالفسيخ رغيفين وبصلا أخضر بشهية فائقة، ثم شربت كوبا من الشاى الثقيل بالليمون ونمت نوما عميقا حيث تعالى شخيرى فى الفضاء دون أن أشغل فكرى بجدوى وجودى فى هذه الحياة التى لم أفهم مغزاها حتى اليوم.

راضية هى وقانعة بحياتها معى. تتحمل كل نزواتى وشطحاتى وأفعالى ، فهى كثيرا ما تتعامل معى كمجنون أو كطفل مشاغب لكنه محبوب.لاتطلعات لديها ولا نهم لأى شىء من مغريات الحياة التى تتهافت عليها غالبية النساء ومعظم الرجال. أشعر أحيانا أنها كائن استاتيكى لايعرف الحركة. تعشق الاختصار فى كل شىء خاصة الكلام. لو تركتها يوما كاملا دون أن أكلمها فلن يضيرها هذا فى شىء ولن تكلمنى الا اذا اقتضت الضرورة. أحيانا يكون الصمت أبلغ من الكلام وأحيانا يكون أعنف من القتل. رغم ذلك فقلبها ملىء بالحب تجاهى وتجاه ابنتينا ، بل وتجاه الناس والكون بأسره، كما أنها تتجاوز حبها لأسرتها الى ما هو أبعد من ذلك بكثير، فهى تحب وطننا مصر حبا عنيفا لايخلو من شوفينية متعصبة . كثيرا ما سمعتها تردد مقولة كعب الأحبار عن مصر أن "من أرادها بسوء قصمه الله".

بستان بارعة فى تقبل تقلباتي النفسية الدائمة ، بين عشق جنونى للحياة فى صورة مغامرات عاطفية جديدة أو رحلات بحرية للصيد أو سباحة فى شاطىء متطرف عاريا كما ولدتنى أمى أو عزف على العود قرب الفجر أو استقبال طلبة وطالبات فى منزلى والتحاور معهم فى موضوعات فلسفية شائكة حتى ساعة متأخرة من الليل. وأخيرا تنتابنى حالة من الرغبة فى الاستغناء وفقدان الارادة فى إرادة أى شىء ، وكان على رأس تلك الرغبة المفاجئة قرارى بمقاطعة النساء. لم تفرح بستان كثيرا بقرارى هذا ، فيبدو أنها كانت واثقة من أننى سأتراجع عنه فى أقرب فرصة. رغم ذلك فقد كانت على الدوام تشجعنى وتساندنى فى كل ما أنا مقدم عليه من قرارات حكيمة ومجنونة.

لماذا يارب أتغافل عن هذا كله وأبحث فى دنياى عن حبيبة أخرى أرى فيها كل ما يهفو اليه قلبى وما تتمناه روحى وما يرنو اليه عقلى؟..يا طمع الرجال وغرورهم وأنانيتهم. ما الجديد فى الحبيب المجهول الذى لا أتوانى يوما عن التفكير فيه، خاصة حين يقبل الليل وأظل شاردا أستمع يوما الى قصيدتى المفضلة لأم كلثوم:"أقبل الليل ونادانى حنينى يا حبيبى"، ويوما الى قصيدة "الحبيب المجهول" لمحمد عبد الوهاب.. من أنت أيتها الحبيبة المجهولة التى أبحث عنها كلما أقبل الليل بغياهب ظلماته ، وهل سأعثر عليك يوما ؟..

****

لبنى سعيـــــد

****

يا الهى!...

منذ ثلاثة وعشرين عاما حملنى هذا الرجل على كتفه. من الواضح جيدا أنه لايتذكر الآن تلك الواقعة. استأجرت دراجة رحت أتجول بها فى شوارع الأقصر ومتاحفها. ترتب الجامعة كل عام رحلة الى الأقصر وأسوان. كان ذلك فى عام1992 وكنت طالبة فى الليسانس. منبهرة أنا بكنوز أجدادى الفراعنة العظماء من الآثار التى ليس لها مثيل فى العالم بأسره. أطير بدراجتى محلقة فى سماوات المجد والعلا والعظمة وبهاء التاريخ القديم والاعتزاز القوى بمصريتى . لم أشعر بنفسى الا فى المستشفى. صدمتنى عربة مسرعة. كنت محظوظة لتواجد الدكتور شوقى بالمصادفة فى نفس المكان. معظم الأحداث التى تغير مجرى حياتنا تحدث مصادفة. كان يشترى بعض المشغولات الشعبية. علمت أنه أوقف عربة لايعرف صاحبها. طلب منه التوجه الى أقرب مستشفى. كنت غائبة عن الوعى بفعل الفزع من الصدمة، لكن آثارها على جسدى لم تكن خطيرة. ما أن أفقت حتى وجدته يجلس أمامي مبتسما فى حنان. أدركت أننى عثرت فى هذه اللحظة على نصفى الثانى الذى أبحث عنه منذ بدء الخليقة. أيقنت أننى سوف أحب هذا الرجل بحكم قدرىّ نافذ ، حتى لو لم ألتقى به مرة أخرى لنهاية العمر. دامت ابتسامته الحنون منطبعة فى ذاكرة قلبى ولم تفارقها حتى اليوم. ظل بجوارى حتى خرجت من المستشفى وأعادنى الى صحبتى بالرحلة، لبنى ثانية غير لبنى الأولى.

فى المرة الأولى حين حملنى الدكتور شوقى على كتفه وأصبح صدرى ملاصقا لصدره وكتفه، تحتوينى يداه، لم أكن فى وعيى. لم أرى شعر صدره ولم أشم رائحته. اليوم قد اختلف الأمر.أكاد أشعر أن قوة هذا السبعينى لاتقل بأى حال عن قوة الرجل نفسه وهو فى ريعان شبابه حين حملنى الى المستشفى. لم يلهث فى تنفسه ولم يتوقف لثانية واحدة فى منتصف الطريق بين الرصيفين لينال قسطا من الراحة. حملنى فجأة ودفعة واحدة، وكأنما كان يخطط بخبث لذلك الفعل قبل أن يشرع فى تنفيذه ، حتى لاتحول آرائى الحماسية عن المرأة دون عزمه النهائى على الخلاص العملى من الورطة لنا معا وبسرعة ودون تردد. هذا رجل غير عادى. جئت اليه لاستشارة تاريخية حول الملابس التى كان يرتديها الحاكم ورجال القصر وجنود الجيش فى حقبة زمنية معينة تدور بها أحداث مسلسلى الذى أقوم بكتابته. الانترنت وحده لم يشفى غليلى للإلمام التام بظروف هذه الحقبة اجتماعيا وسياسيا. لم يخذلنى الدكتور شوقى وأمدنى بكل المعلومات التى طلبتها، وأجابنى عن كل الأسئلة التى سألتها. أنا أعلم أن هذا كله من اختصاص المخرج، لكنه اعتمد علىّ فى الحصول على هذه المعلومات من أستاذى وانشغل هو بأشياء أخرى، لثقته فى أننى أحب أن أتقن عملى الى أقصى درجة ممكنة.

أستاذ التاريخ هذا بكلية الآداب جميل الوجه أخضر العينين رشيق القد رفيع الذوق فى اختيار مكونات ملبسه الأنيق، خاصة كرافاتاته المبهرة. قبل أن أذهب اليه فى مكتبه بقسم التاريخ قرأت المزيد من كتبه حتى أزداد الماما بفكره وطبيعة شخصيته التى يتحدث عنها الجميع بإعجاب وانبهار. حين كنت فى الليسانس كان مدرسا مساعدا بالقسم. لم أتبادل معه كلمة واحدة خلال العام الدراسى بأكمله، وإن كنت لا أستطيع أن أكف عن النظر الى وجهه وهو يتحدث فى "المدرج" وأرقب مخارج الحروف من فمه بشغف جميل. أغلب ظنى أن معظم الفتيات كن يتابعنه مشدودات الى جاذبيته بنفس الاهتمام أو يزيد.

من قراءاتى لكتبه أدركت كم هو عاشق لمصر حد الوله والهيام، مثلى تماما وربما يزيد. ابتسامته معجونة بالسحر. مجالها المغناطيسى شديد الشد والجذب ولكن فى رقة وحنان. لاتفارق وجهه مهما كانت الأحوال. مضى على انبهارى الصامت بها ثلاثة وعشرون عاما ولم تتغير. هى كما هى. تذيب القلب فى غفوة الهوى. وهو كما هو. شاب فى الثلاثين شاب فى السبعين. فرعون لم تستطع التجاعيد أن تتسلل الى عمره. من المؤكد أن رومانسية هذا الرجل لاتختلف كثيرا عن رومانسيتى التى جبلت عليها طباعى وأفكارى وحياتى كلها.

أسجل بالدقيقة والثانية المواعيد التى تستضيفه فيها البرامج الثقافية ليتحدث عن تاريخ مصر القديمة. أشاهدها بقلبى قبل عقلى وعينى ، فأستزيد من جماله الانسانى رفعة ورقيا. تبهرنى أبحاثه المتفردة عن الحب عند الفراعنة. يقول ان فريقا من علماء الآثار قد نجح في تحديد واحدة من أقدم قصص الحب في العالم، بعد كشفهم عن لوحة تصوّر مشهد غرام بين زوجين داخل مقبرة تخصهما وأبناءهما في منطقة سقارة، التابعة لمحافظة الجيزة المصرية، ويقدر عمرها بحوالى 4400 سنة .ويواصل إن تلك المقبرة تخصّ مغنيًا، كان يعمل لدى أحد الفراعنة ، واسمه «كاهاي» وزوجته «ميريتيتيس» التي كانت تعمل كاهنة، وأكد أن الدهان الملوّن لتلك اللوحة الجدارية، التي تبرز قصة الحب بين الزوجين، والتي تعود إلى الوقت الذي كان يتم فيه بناء أهرامات الجيزة، هو دهان نادر للغاية بالفعل وتكشف اللوحة تحديق الزوج والزوجة في أعين بعضهما البعض، ومشاعر الحب تهيمن عليهما بصورة واضحة، وتقوم الزوجة بوضع يدها على كتف زوجها اليمنى ويظهر «كاهاي» في اللوحة وهو يرتدي زيًا من جلد النمر ويمسك عصا وصولجانا، وهما رمزان للسلطة، كما كان يعتقد في مصر القديمة. فيما كانت ترتدي «ميريتيتيس» فستانًا طويلا ضيقًا بحمالات كتف تكشف على ما يبدو أجزاءً من ثدييها.

حين أفقت فى المرة الأولى بالمستشفى انتابنى شعور طاغ بالخجل والحياء حين علمت أنه حملنى بنفسه من الطريق الى العربة أولا، ثم من العربة الى داخل المستشفى بعد ذلك. راعنى أن يتلامس جسدى بجسده على هذا النحو. لابد أن يدى كانت مستقرة على كتفه كما استقرار يد«ميريتيتيس» على كتف كاهاى. لكنى لم أذهب فى ظنونى تجاه هذا الكائن الجميل الى ماهو أبعد من ذلك.

أما هذه المرة فكان تلامسنا شيء رهيب من المحال وصفه بالكلمات. كان دوامة عنيفة من مشاعر متضاربة متداخلة متناقضة، تحمل فى طياتها ضعف الأنثى ورغبتها وتمردها ومراوغتها وعنادها ممزوجا بمتعة شعور الأنثى بالاختطاف من المحبوب القوى القادر ، ثم استسلامها فى النهاية لغيبوبة الحب المقدسة.

قرب منتصف الشارع نقلنى من كتفه الأيمن الى كتفه الأيسر ، حين مر أنفى بوجهه حتى كاد يلامسه، فشممت رائحته المنبعثة من جلده وشعره. هى ليست رائحة عطر بقدر ماهى رائحة رجولة لرجل غير عادى.

على أحد رفوف مكتبه لمحت ديوان "الهوى والشباب" لبشارة الخورى الذى يسمونه بالأخطل الصغير. سألته فى فضول جارف:

- هل تحب هذا الشاعر يادكتور؟
- بل أعشقه. لماذا تسألين؟
- لأنى أعشقه مثلك
- ماذا تذكرين له الآن من أشعاره الجميلة؟

أدركت أنه يختبر بخبث جميل مدى صدقى. قلت:

- أذكر له قصيدة الصبا والجمال التى يقول فيها:

الصبا والجمال ملك يديك / أى تاج أعز من تاجيك
نصب الحسن عرشه فسألنا/ من تراها له فدل عليك
فاسكبى روحك الحنون عليه/ كانسكاب السماء فى عينيك
كلما نافس الصبا بجمـــــال / عبقرى السنا نماه اليك

نظر الى بابتسامة حانية تجاوزت حد الاعجاب ، حين قال:

- هناك أبيات كثيرة أحفظها له. هل تحبين الشعر؟
- لو لم تأكلنى الدراما لابتلعنى الشعر
- اذن فاسمعى لقوله عن الحب العذرى:

بلد الهوى العذرى وهو كناية/ عن حب أشرف مجمع انسانى

يتعانق الروحان فيه صبابة / ويعف أن يتعانق الجسدان
وجدت نفسى شاردة أقول:
- **اللـــــــــــــــــــه!!**

واصل الالقاء كما لو كان يتوجه بالشعر الىّ عن قصد:
ويح المحب اذا تملكه الهوى / نمت به عينان فاضحتان
عبثا يحاول ذو الهوى كتمانه / عبث الهوى يقوى على الكتمان

كتمت رغبتى الطائشة فى تقبيله. تخيلت أننى قبلته بالفعل. طرت بجناحى كيوبيد الرقيقين الى فضاء موسيقى تغنى فيه الأطيار والأزهار ، وأنا أردد أمامه دون أن أدرى:
ان كان أحلى الحب أول قبلة / ماضره لو مات أول عمره
كالزهر مات مكفنا بأريجـــه / ووسيم نضرته ونشوة طهره

- **أنت كاتبة رائعة يالبنى. ما أندر أن نجد كاتبة فى مثل ثقافتك**
- **لاتنس أننى تلميذتك يادكتور**
- **كيف تكونين تلميذتى وأنا تاريخ وأنت مسرح؟**
- **الدنيا كلها مسرح للتاريخ، والتاريخ يادكتور كله أحداث مسرحية ، وليس بالضرورة كى أكون تلميذتك أن أكون خريجة قسم التاريخ. أنا تلميذتك لأنى قرأت معظم مؤلفاتك، وكلها تتفق مع أفكارى وميولى تماما، كما أننى حضرت الكثير من محاضراتك بدافع المعرفة والمتعة.**

إذن فأنت تغازلينه يا أم ايهاب. لاتتعللى بالظلم الواقع على المرأة التى يعاملها الرجل كجسد بلا روح، فأنت كنت على وشك الطيران من السعادة وأنت محمولة على كتفه ليعبر بك الطريق، وأنت الآن أيضا على وشك الطيران من الفرحة لمطارحته لك هذا الشعر المتفجر بمشاعر الحب العفيف.. لكن ما معنى ذلك يا امرأة؟.. احذرى جيدا مما تفكرين فيه، فكل عاشق يعرف تماما ما هو مقدم عليه وما ينبغى أن يواجهه من مخاطر، فالمسئولية لاتقع الا على عاتقه وحده ، حيث لاينفعه – بعد الوقوع – نصح صديق أو مشورته. أنت متزوجة وهو متزوج. هل تحلمين رغم ذلك بعلاقة عاطفية معه؟..من أدراك أنه سيقبل بهذا العبث ويستجيب لهواك فى تحدّ صارخ لمؤسسة الزواج الراسخة ، فالرباط بين العقل والهوى أمر مستحيل، اللهم الا إن كنت فى شوق واحتياج لامفر منه الى حب عذرى عفيف، لو متّ دونه تموتين شهيدة حسب اعتقادك. أنت امرأة فاضلة لن تعرف الخطيئة يوما ، ولن تكون أختا توأما لدون جوان أو كازانوفا. إن يكن بيننا حب فى يوم من الأيام فإنه سوف يتسامى عن المتع الحسية ويسوده الاحساس الدينى الذى تقوده الفضيلة وتسمو به الروح.

احذرى فأنت فى سبيلك الى أن تصبحى من أصحاب الوجدان المعذب الشقى لو وقعت فى حب هذا الرجل. ستجعلين من نفسك ضحية سهلة للصراع بين الحب الهادىء الممتد لدرجة الفتور الذى يجمعك بزوجك فى ملل ، وبين الحب العنيف المشتد فى عذريته وحرارته بكل ما يؤدى اليه من قلق وعصاب واضطراب، والذى حتما سيكون بينك وبين هذا الشوقى الراهب.

****

صفوت ضرغـــام

****

لم أر زوجتى يوما على هذه الدرجة من الابتهاج والسعادة. دخلت الشقة بملابس غارقة فى الماء الذى كان يسيل منها على الأرض فى غزارة. لم أسألها عن سر الفرحة التى تطل من وجهها لا لسبب إلا لأننى لست أملك الدافع الى هذا السؤال. توجهت الى الحمام. تخلصت من ملابسها المبتلة وخرجت فى قميص وردى تحب ارتداءه فى لحظات الانسجام. كثيرا ما أفكر فى طبيعة العلاقة بيننا كشريكين فى الحياة. لم أتزوجها عن حب ، تزوجتها لأنه كان لابد لى أن أتزوج وأكون أسرة كبقية الخلق . لم أشعر يوما تجاهها بالبغض أو الكراهية.. هى لا تفعل ما يغضبنى أو يثيرنى، وإنما تقوم بواجباتها نحوى ونحو أولادى خير قيام. أما الواجب المقدس لديها والذى يحصل على القسط الأكبر من وقتها وجهدها بل وحبها الكبير الذى يثير غيرتى، فهو الكتابة الدرامية للاذاعة والتلفزيون بالقاهرة والاسكندرية، والتى توليها اهتماما أكثر من اهتمامها بوظيفتها الاعلامية الكبرى التى تتطلب تنقلها الدائم بين القاهرة والاسكندرية. رغم واقعيتها فى التعاطى مع الحياة، إلا أنها امرأة ذات خيال خصب، أوسع من خيال الشعراء ومخابيل الأدب والفن. الأمر الذى يجعلنى واثقا من عجزى الكامل عن فهمها أو توقع ما يمكن أن يصدر عنها من فعل أو قول تجاه أى موقف حياتى.

أستاذة هى فى سد الفجوات التى أصنعها فى حياتنا من جراء بعض سلوكياتى الطبيعية التى ترفضها بشدة لثباتها وجمودها - من وجهة نظرها- مع شدة تمسكى بها. على رأس تلك السلوكيات رؤيتى المقننة لإنفاق المال وأسلوبى القاطع فى التعامل معه. أنا أكسب كثيرا من الدروس الخصوصية لطلبة الثانوية العامة والتى تستغرق معظم ساعات يومى، حتى أننى لا أراها أو أتحدث معها الا نادرا. هى أيضا تكسب كثيرا من الاذاعة والتلفزيون، لكن معظم ساعات بقائها فى البيت تكون منكبة على الكتابة فى تركيز يعزلها عنى وعن العالم كله. لقد وضعت تقديرا شهريا ثابتا أراه مناسبا لما ينبغى انفاقه، وأرفض أن تتجاوزه الا للضرورة القصوى. من المؤكد أن زوجة أخرى غير لبنى كانت ستتهمنى بالبخل وتكثر من النزاع معى وتخلق لى المشاكل وتنغص على حياتى، ولم أكن لأتراجع – رغم ذلك – عن أسلوبى الحضارى الدقيق المنظم مهما كلفنى ذلك من غم وعنت ، حتى لو اضطرنى الأمر الى طلاقها. أما هى فتنفق من مالها على البيت بسخاء ولا تطلب منى المزيد من المال أبدا، لكنها لاتجد حرجا فى أن تعلن لى فى منتصف كل شهر تقريبا أن مخصصى الفرمانى المالى المحدد قد انتهى ، دون أن تصرح بأنها ستواصل الانفاق على البيت لبقية الشهر من دخلها الخاص. أستمع لها فى صمت. تدرك أن سكوتى علامة لرضاى وقبولى لهذا الوضع أيا كانت صفاته. سمعت مقرئا يقول:"الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم". أنا لا أعترض على كلام الله ، مثلما لا أستطيع أن أعترض أيضا على كرم زوجتى. نشأتى العصامية هى التى خلقت منى إنسانا يحترم القرش.

لبنى تنفق كثيرا على الكماليات بشتى أنواعها. تجد لذة فائقة فى دعوتنا أنا وإيهاب ورانيا للغداء أو العشاء فى النادى أحيانا وفى المطاعم الأنيقة المطلة على الكورنيش أحيانا أخرى. أنا أستطيع – ودخلى يسمح – أن أدعوهم بالمثل الى تلك الأماكن ولو بصفة يومية، لكنى لا أسمح أبدا بأكثر من مرة واحدة أو مرتين فى الشهر على الأكثر. مرارة المعاناة من الطفولة المعذبة لم تفارق فمى . "جارسونات" المطاعم يحبون لبنى لأنها تغمرهم ب"البقشيش" بغزارة، أما أنا فلا أستطيع أن أتجاوز حد الاعتدال فى العطاء حتى لو عزمت على ذلك. فقراء الحى يعرفون الطريق الى بيتنا بسبب لبنى. لا أحب هذه الطريقة للتسول بطرق أبواب البيوت مباشرة.الله أراد لهم أن يكونوا فقراء فما ذنبى فى ذلك؟. أنا متمسك بكيفية توزيعه الرزق على عباده كيف يشاء كما يقول فى كتابه المقدس. تمسكى هذا لايتعارض مع تمسك الناس الدائم فى العلن – لا فى السر – بتعاليم الله وأوامره ونواهيه حتى فى الأمور الدنيوية النسبية التى لاعلاقة لها بالله. الشىء الوحيد الذى لا أتردد فى انفاق المال لأجله هو السجائر والقهوة، فأنا لا أستطيع الحياة

بدونهما. كثيرا ما تهرب لبنى من الفراش وتذهب الى غرفة رانيا لتنام معها وترتاح من رائحتى المتخمة بالتبغ ، ومن شخيرى الذى قال الطبيب انه لن يتوقف طالما لم أمتنع عن التدخين وأقلل من الطعام حتى يهبط كرشى الى المستوى المعقول. فليذهب الطبيب الى الجحيم فأنا لا أحب مقاومة شهوة الطعام بصفة خاصة دونا عن سائر الشهوات.

لا أهتم اطلاقا بمتابعة المسلسلات الدرامية التى تكتبها لبنى لسبب بسيط هو أننى لا أجد عندى رغبة فى ذلك. فى بداية الأمر كانت تتعجب وتندهش لعدم اهتمامى بما تكتب ويتحدث عنه كل الناس. فى بعض الأحيان كانت تغضب منى وتخاصمنى، لكن بمرور السنوات اعتادت الأمر وصارت تقابل انصرافى عن متابعة أعمالها بلا مبالاة تامة. من المؤكد أنها تنظر الى كإنسان جامد المشاعر متحجر القلب لايحب الفنون والآداب ، بل يعتبرها مضيعة للوقت والجهد والمال لمن يحبونها. سألتنى بدهشة غريبة:

- ألا تسألنى أين كنت اليوم وبأى وسيلة تمكنت من العودة الى البيت فى هذا الجو الرهيب؟!
- رأيتك مبتهجة الوجه منشرحة الصدر فلم أشأ إزعاجك بأسئلة لا أهمية لها
- ألم تفكر فى سبب بهجتى وانشراحى؟
- من المؤكد أنك قبضت أجرا كبيرا عن مسلسلك الأخير، أو ربما وقعت عقدا لكتابة مسلسل جديد بعد أن وافقوا على رفع أجرك
- وهل المال هو المصدر الوحيد للفرحة ياصفوت؟
- بل هو المصدر الأساسى، وإلا فما هو السبب؟
- السبب أننى التقيت بأحد أساتذتى الذين لم ألقاهم منذ أكثر من عشرين عاما
- وماذا بعد؟
- أمدنى بكل المعلومات التاريخية التى طلبتها منه والخاصة بأحداث المسلسل
- ثم ماذا؟
- ثم تبادلنا إلقاء الشعر فى الحب العذرى

ابتسمت فى سخرية وقلت متهكما بعد أن نفد صبرى:

- ربنا يعينكما على ما أنتما فيه

قالت بسعادة وكأنما تصر على استفزازى:

- ثم حملنى على كتفه وعبر بى الشارع الى الرصيف المقابل حيث العربة

لم يهتز لى جفن ولم يبد على وجهى أى انفعال. كانت تنظر الى فى دهشة استنكارية أقرب ما تكون الى الذهول. خيل الى أنها تريد أن تبصق فى وجهى لكنى لم أعبأ بما يجول فى خاطرها من انفعالات أنثوية خائبة.فاجأتنى بسؤال غريب:

- صفوت..ألم تحب غيرى قبل أن ترتبط بى؟
- نعم لم أحب قبلك
- ولكن هل تحبنى؟
- ألن تكفى عن طرح هذا السؤال الساذج علىّ أبدا؟

الحق أننى لم أحبها أو أحب قبلها ولن أحب بعدها أيضا. الحب ضعف انسانى يقف دائما كعائق أمام انطلاق الرجل فى حياته نحو أهدافه التى يسعى اليها ويبذل المستحيل لتحقيقها.."لكن ماهى أهدافك هذه ياترى"؟؟..

تريدنى أن أظهر بعض مشاعر الغيرة عليها بالاعتراض على قبولها أن يحملها رجل على كتفيه ويعبر بها شارعا. سوف أنهى الموقف بادعائى الغيرة كذبا. هذا هو الحل الأمثل للانتهاء من هذه التمثيلية العاطفية السخيفة.

- كيف تسمحين لرجل غريب أن يحملك على كتفه؟
- ألا تعرف كيف؟
- طبعا لا أعرف

- **ألا تذكر أننى اتصلت بك على المحمول عدة مرات حتى تأتى لإنقاذى، لكنك قلت إنك مشغول وفى مكان بعيد عن الجامعة وطلبت منى أن أتصرف؟**
- **عموما أنا ألتمس لك العذر. دعينا من هذا الموضوع الممل. ماذا سنأكل اليوم؟.**

****

بستـــــان السعدى

****

عاد زوجى الوسيم من تلك الغارة الشتوية الرهيبة وشكله يثير الضحك. غارق فى حلته الغارقة فى الماء. صاح وهو يجرى مسرعا الى الحمام:

- الحقينى يابستان.شغّلى الموتور والسخان بسرعة وحياتك

... كم أحب هذا الرجل الرائع الذى لم أحب قبله ولن أحب بعده أبدا.

فى الحمام راح يغنى قصيدة الحبيب المجهول لعبد الوهاب. فى غمرة انسجامه علا صوته فوق ماينبغى. ذهبت لتنبيهه. رأيت خياله من خلف الزجاج يرقص فى استغراق تام كما لو كان الرقص طقسا من طقوس الاستحمام. سألته:

- هاه..حب جديد والا ايه؟!

قهقه ضاحكا ولم يعلق. الرقص يجرى فى دمه ويتنفسه شهيقا وزفيرا. كثيرا ما يرقص فى طرقات البيت بمناسبة وبدون مناسبة وهو يدندن بأغنية من مئات الأغانى التى يحفظها عن ظهر قلب.

- اخفض صوتك ياشوقى فالجيران سوف يستغيثون

- خلاص أنا خارج وسأحرمهم من فنى

وإذا به يخرج من الحمام عاريا تماما وهو يندفع متراقصا الى غرفة النوم مرددا أنغام الأغنية وكأنما يتعمد معاكستى. جريت وراءه حاملة"البشكير" فى يدى.

- انتظر يامجنون. ستبرد

أخذ يراوغنى ويتهرب منى كطفل مشاكس. فى النهاية نجحت فى إحاطته بالبشكير وهو مستسلم لى فى وداعة، وروحى تحتضن روحه قبل أن أحتويه فى صدرى.

سألته عن سر سعادته الذى دفعه الى الغناء والرقص بهذا الحماس.قال:

- أصل كل أصحابى الأندال ماتوا وتركونى

تعودت أن أسمع منه إجابات غريبة لاعلاقة لها بالأسئلة التى أسألها.

- ولهذا السبب ترقص؟

- نعم ، فالذى لايحب الرقص لايحبه الله ، ولا يفنى فى الله من لم يذق لذة الرقص

راح يحكى لى ما حدث مع الكاتبة وأنا عاجزة عن مقاومة الضحك. لم أعرف مخلوقا فى حياتى بمثل صدقه وتلقائيته. هذا الرجل الطيب يحبنى حبا صادقا ، لكنى أعرف أن قلبه قد اتسع لأكثر من حب غيرى.أكتم غيرتى وغضبى وأخفى حزنى خلف ستائر كبريائى الكثيفة. كانت له تجربة مؤكدة فى حب آخر أحسست به ، كما كانت له تجارب أخرى سابقة نجح فى إخفائها عنى . لكنه رغم ذكائه الحاد وقدراته الذهنية غير العادية لايستطيع أن يتخابث على بستان أو يخدعها.أنا بنت بحرى الواعية التى تستطيع استيعاب حبيبها كما يستوعب البحر الحيتان والدرافيل واللآلىء وصغار الأسماك جميعا.

الذى أعرفه عنه معرفة اليقين أنه لايقرب الزنا أبدا. صحيح أنه يشرب الويسكى والبيرة معتبرا أنها خمور غير عنبية ، وبالتالى فهى غير محرمة كما يقول بعض الأئمة والفقهاء ، لكنه يصلى الفرض فى وقته ويصوم رمضان ويزكى ويتصدق.

فى بداية الأمر اكتشفت تلك الازدواجية المتناقضة. كنت فى حيرة شديدة من أمرى وأمره، لكنى توصلت فى النهاية بعد طول المعاشرة الى تفاهمات عديدة مع نفسى بشأن هذا الرجل المحير. أولها أننى لست مندوبة عن الاله لأحاكمه على تصرفاته، فهو الذى يحمل ذنبه ولست أنا. ثانيها أنه معتدل فى شربه ولم يصل مرة الى حد السكر ، وثالثها أنه لم يسبق مرة أن أعقب مجلسا من مجالس شرابه- سواء منفردا أو بصحبة نديم أو ندماء- بعمل ينم عن غياب العقل أو الرغبة فى إيذاء الغير أو الاعتداء على حريته.

فى لحظة صفاء سألته:

- **كيف يستطيع الرجل أن يحب أكثر من امرأة بينما المرأة فى معظم الأحوال لاتحب أن تحب أكثر من رجل واحد تهبه كل حياتها ؟**
- **أشم رائحة خبث فى سؤالك**
- **والله ما أريد الا معرفة الحقيقة فى هذا الأمر. صدقنى ياشوقى**
- **إذن فاعلمى أن العقل البشرى لايستطيع بحال من الأحوال أن يفهم معنى أن يعشق زوج زوجته طول العمر حتى يفرق بينهما الموت.. قد يستطيع الانسان أن يدعى الحب لحظة، لكنه لايستطيع أن يدعيه عمرا بأكمله. هذا شىء مستحيل ومناف للطبيعة البشرية، وأعتقد أن هذا هو السبب فى أن الله قد شرع فى الاسلام للرجل أن يتزوج بأكثر من امرأة.**
- **واضح أنك عثرت على تبرير دينى لصعلكتك الدائمة بين النساء، فكيف يكون الحال لو لم تكن مسلما؟**
- **قلت انك تريدين معرفة الحقيقة**
- **حقيقة مؤسفة تهديك الحق فى التخلى عن الاخلاص لزوجتك**
- **هى وجهة نظرى وقد أكون مخطئا**

يتعرض حبيبى الجميل الى مشاغبات نسائية عديدة. هناك شىء ما أشبه بالسحر فى وجهه ونظرات عينيه وابتسامته يجذبهن اليه. طالبات ومدرسات ومعيدات. كل الأعمار تحبه. شىء يغيظ ، فأنا أيضا أحبه، وأنا الأولى به دونا عنهن أجمعين. كطفل برىء يطلعنى على الخطابات الغرامية التى تصله والطفولة منه براء ، غير أن الغرور لايداخله أبدا. أنا أفهم مقصده وأعرف أساليبه فى الخداع البرىء. شاهدت مرة فيلما لرجل اختلس مليونين من الدولارات من أحد البنوك الأمريكية، وعندما وصل بعربته الى آخر حدود بلاده مع المكسيك، والتى إن عبرها أصبح مليونيرا حرا طليقا. أوقفه ضابط الحدود رئيس وردية الحراسة. سأله مشيرا الى حقيبة العربة:

- **ماذا معك بداخل هذه الحقيبة؟**

كانت الوردية قد تلقت بلاغا بواقعة السرقة يفيد بأن اللص فى طريقه الى اجتياز الحدود.أجاب ضاحكا فى سخرية هى عبقرية فذة فى التضليل:

- **2 مليون دولار**

بالطبع لم يصدقه الضابط ، واثقا أنه يهرج ، لأنه ليس من المعقول أن يرشد أحد عن نفسه بهذه البساطة. ضحك الضابط وقهقه معه جنوده على النكتة. ضحك اللص معهم وفتحت له البوابة الأخيرة على الحدود ونجا بسرقته.. هكذا يتصرف شوقى معى. يظهر لى الحقيقة فلا يصبح كاذبا أمامى، لكنه يخفى فى طياتها مايريد إخفاءه، فهو فى النهاية صريح صادق لايخفى عنى شيئا !!..كذلك فعل معى من قبل خلال تعايشه مع تجارب حب مختلفة ، كانت أطولها التجربة التى شعرت بها وأشرت اليها،فضابط الحدود الأمريكى لديه إخطار مسبق بأن هناك مجرم فى طريقه الى الحدود هاربا من البلاد ومعه هذا المبلغ، ويجب تفتيش حقائب عربات كل من يعبر الحدود بدقة متناهية. كذلك أجلس أنا فى السهرات والزيارات المنزلية مع صديقاته الحميمات وأزواجهن المحترمين، ولكن دون أن أعرف أيهن التى يعيش معها التجربة الجديدة، مثلما لم يعرف الضابط ماذا بالحقيبة.

أيام الجامعة حين كان يحضر للقائى بكلية الهندسة، كانت زميلاتى تعاكسنه أمامى علنا ودون حياء. كلهن يعرفن قصة حبنا المتداولة بين طلبة وطالبات كليتى الآداب قسم التاريخ وكلية الهندسة قسم الغزل والنسيج. شوقى يكبرنى بعشرة أعوام. كان أبى يرى أن هذا الفارق فى العمر كبير وقد تنجم عنه مشاكل فى المستقبل، لكن أمى – التى تزوجت وهى طفلة – ترى أن هذا الفارق مقبول بل ومطلوب لافتراض تميز الرجل على زوجته فى خبرة الحياة والعلم والمعرفة، بحيث يتخذ من زوجته إبنة وصديقة وشقيقة. بسم الله ماشاء الله، فهو مازال فى

ريعان شبابه رغم بلوغه السبعين. أنا التى بدأت أعراض الشيخوخة تهاجمنى ومعها مجموعة لا بأس بها من العلل والأمراض.

عندما حكى لى قصته مع المؤلفة الدرامية الشهيرة التى حملها وعبر بها الشارع لم أتعجب، فمعاشرتى لهذا الرجل علمتنى أن أتوقع منه أى فعل فى أى وقت مع أى أحد وبأى شكل ودون سابق إنذار. هو رجل العبثية والعدمية والصدمات والمفاجآت. أستطيع أن أضيف الى هذه الصفات المتقلبة صفة شديدة الثبات وهى أنه قوى الإيمان يخاف الله . وهو فى الوقت ذاته رقيق الحس رهيف الذوق يعشق الموسيقا والأغانى والشعر والنساء والعطور. يدندن بنغمات عديدة بينما يتحرك فى البيت من غرفة الى غرفة كما يتقافز العصفور. أحيانا يفاجئنى بالرقص على إيقاع أغنية تذاع من الراديو أو التلفزيون أو الكمبيوتر. غالبا مايستخدم قائمة من الأغانى المفضلة التى اختارها بنفسه على برنامج الريال بلاير وقد رتبها ترتيبا خاضعا لمزاجه الذى يتغير يوما بعد يوم فيتغير معه تسلسل القائمة.

حين يرقص فى البيت ينتفض قلبى من البهجة والسرور وإن كنت لا أظهر له ذلك الشعور الرائع، فأنا أعتقد أن هذه هى أفضل السبل للتعامل مع رجل مرغوب من النساء. لقد لاحظ بذكائه تعمدى إخفاء مشاعرى الحقيقية تجاهه بصفة عامة حتى أصبح يتهمنى بالمثل الشعبى القائل بأننى:" لا أقول العيد بكرة أبدا"..بمعنى أننى أعرف ولا أعترف. أبطن ولا أظهر. حاول كثيرا أن يشجعنى على التعبير عما بداخلى، فكان دائما يردد مقولته الشهيرة:

- **أنا أحبك يابستان زهور حياتى**

وأحيانا يسألنى بمكر:

- **هل تحبيننى يا بستان؟**

فأجيبه بحياء لا أعرف كيف أسيطر عليه أبدا:

- **يعنى..**
- **متى تعترفين أن العيد يأتى بكرة؟..متى تتحولين من انسانة تكتم مشاعرها introvert الى أخرى extrovert تفصح عن مشاعرها وتنفس عنها أولا بأول ؟**

لم أشعر بارتياح تجاه استعراض ثقافته أمامى بهذه المصطلحات النفسية رغم اعترافى اليقينى بعظمة هذه الثقافة ورفعتها. تعمدت تغيير مجرى الحديث. سألته فجأة:

- **هل لك سابق معرفة بلبنى سعيد؟**
- **لا أعرفها الا مثلما تعرفينها من خلال تمثيلياتها**
- **ألم تلتق بها أبدا من قبل؟**
- **نعم، هذه هى المرة الأولى**
- **لعلها تكون الأخيرة**
- **كله بأمره**

بتهكم امرأة ذكية:

- **ولماذا يامولانا اختارتك من دون أساتذة القسم لتطلب مشورتك الفنية؟**
- **والله فاتنى أن أسألها هذا السؤال**
- **يعنى أعطيتها المعلومات وشلتها..يا بلاش يارجل**
- **بختها حلو**
- **بل بختك أنت**
- **لم؟**
- **لأنها جميلة ونغشة، ولو أنا مكانك كنت فعلا شلتها، خصوصا وأنى أحبها جدا وأحب كل أعمالها**
- **الحمد لله أن قدرت موقفى**
- **أنت عموما طول عمرك رزقك واسع مع صنف الستات. نفسى أعرف متى تهمد**
- **واضح أن متابعتك لى فاشلة مع أنك قمة فى الذكاء**

- **كيف؟**
- **لأننى همدت فعلا منذ سنوات**
- **لكنى لم ألحظ عليك هذا قبل إضرابك الأخير عنى . أنت مازلت فى عنفوانك**
- **لا أقصد هذا الموضوع. أقصد صداقاتى العادية مع النساء.لقد توقفت تقريبا، ويمكنك القول انها انتهت**
- **صعب أن أصدقك يا شوقى، وطبعا ستنتهز لبنى فرصة شهامتك وطيبة قلبك فتظل تزورك بحجة طلب المزيد من المعلومات**
- **لقد أعطيتها كل ماتريد ولم تطلب منى لقاء ثانيا**
- **حتى لو طلبت. المهم ألا تخرج زياراتها عن نطاق الكلية والقسم احتراما لمركزك**
- **لكنها ستخرج للأسف**
- **كيف؟**
- **أنا الذى طلبت منها – من باب الفضول المعرفى – أن تعطينى أحد سيناريوهاتها التاريخية السابقة لأقرأه وأطابقه مع الوقائع التاريخية الحقيقية**
- **وتقولها هكذا بكل صراحة؟!**
- **ولم لا يابستان؟ نحن فى عام2015 وفى مصر ولسنا فى قريش أيام الجاهلية**
- **وأين سيكون اللقاء بإذن الله؟**
- **فى لاكوارتا بشاطىء سيدى جابر**
- **كنت تذهب دوما الى هذا المكان لصيد السمك. هل أصبحت الآن تذهب اليه لصيد النساء؟**
- **ياحبيبتى يابستان زهور عمرى. هل أنت محتاجة فى كل يوم الى أن أؤكد لك أنك حبى الوحيد والباقى الى الأبد؟**
- **هو باق فعلا. أنا واثقة من صدقك.لكنى لا أصدق انه الوحيد، وأنت تعرف ، وتعرف أننى أعرف.. والآن قل لى بصراحة: هل كنت تعرف لبنى من قبل؟**

****

شـــوقى الراهب

****

هناك شىء غامض يجذبنى ويدور بى فى فلك هذه السيدة الفاتنة عسلية العينين ، لست أعرف مبعثه. لاغرابة عندى فى ذلك ، فهناك أمور لا حصر لها فى هذه الحياة لايعرف أحد بواعثها، ولا مغزاها. لايبدو أننى رأيتها أو عرفتها بصفة شخصية من قبل، رغم أن ملامح وجهها الجميل ليست غريبة على ذاكرتى أو بعيدة عنها. لامفر من الاعتراف بأن ذاكرة العقل عندى قد بدأت تخوننى، وأنا أكره فعل الخيانة بأشكالها كافة كراهية عمياء. أنت اليوم تنسى أسماء صديقاتك القدامى وتخلط بينهن. الكرافتات المهداة اليك وزجاجات العطر كنت تعرف صاحباتها وتذكرهن جيدا فيما مضى، أما اليوم فقد محت الذاكرة كثيرا من أسمائهن. فى مرات عديدة اتصلت بك احداهن وذكرت لك اسمها، لكنك مع ذلك لم تتذكرها وطلبت منها أن تذكرك بأشياء أو أحداث معينة تستحث ذاكرتك على معرفتها. شىء مؤسف لكنه طبيعى. تلك سنة الحياة وما أنت الا مخلوق بشرى ضعيف لايستطيع – مهما بلغت قوته – أن يتحدى شيخوخته. كثيرا ما التقيت مؤخرا ببعضهن وجها لوجه فى مناسبات ثقافية واجتماعية مختلفة، لأجد نفسى قد نسيت كل شىء عنهن ورحت أسألهن أين كان لقاؤنا من قبل وما المناسبة التى جمعت بيننا. الزمن اللعين لايرحم ، وأنا جبان أمامه وإن ادعيت بغير ذلك.

بستان لاتريد أن تصدق أننى امتنعت مؤخرا عن إنشاء صداقات جديدة مع النساء. أنا صادق فيما قلته لها بهذا الشأن، لكن لأنها لاتعترف أبدا بأن"العيد بكرة" فهى لاتصدقنى. من الجنون أن أذكر لها السبب الحقيقى الذى أمطرتنى الذاكرة بأحداثه الآن. كنت قد التقيت بسيدة خفيفة الظل بأحد معارض الفن التشكيلى الذى أجد متعة شديدة فى متابعة تطوره بمصر. اسمها زهو.انجذبت بشدة الى روحها المرحة وثقافتها الرفيعة. بعد دقائق كنت أخاطبها ب"زيزى" دونما أدنى دهشة من جانبها وكأننا أصدقاء قدامى رفعت بيننا الكلفة منذ زمن بعيد. أخفت عنى أنها صاحبة المعرض وراحت تسألنى رأيى فى لوحاتها ببراءة تامة. أفرغت فى أذنيها كافة عبارات الرفض والاستنكار لذلك الفن السيريالى المعقد والذى يثير ضحكى أكثر مما يثير تعجبى. أكدت لها أننى لا أريد أن أفهمه لأننى لن أفهمه فعلا. سبق أن حاولت التجاوب معه بإحساسى بشكل أو بآخر- فالفن هو ذلك الشىء الذى يحرك مشاعرنا لا الذى نفهمه – ومع ذلك فقد عجزت تماما. لم تؤثر فى لوحة سيريالية واحدة تأثيرا بالشجن أو الفرحة أو الحزن أو التفاؤل أو بأية مشاعر أخرى. كانت تستمع الىّ وعلى وجهها ابتسامة ملائكية ساحرة. انتهى الحوار بأن دعتنى الى تناول فنجان من الشاى معها فى مكان عام قريب من المعرض، مبررة دعوتها بأنها ستخبرنى بنبأ شديد الأهمية والإثارة. قبلت الدعوة مرددا فى ضميرى همس جاليليو:"ولكنها تدور" حين تحدثنا عن الدين والعقل والفن فى حوار ممتع. عرجنا على فرحتنا بنجاة مصر من حكم الظلاميين الذين كانوا بسبيلهم الى إلغاء الموسيقا والغناء والفن فكل هذا عندهم حرام. أكبر كارثة على الفن والفنانين وكل المبدعين أن يسيطر الكهنة على حكم البلاد. تذكرت كيف نجا ابن رشد بنفسه من تهمة الزندقة عندما أعلن عن ابتكاره الخبيث لفكرة الحقيقة المزدوجة التى تجمع بين الدين والعقل، متهربا من دعوته السابقة الى إعلاء العقل على الدين والتى يؤمن بها فى قرارة نفسه.

كان النبأ الشديد الأهمية والإثارة هو اعترافها لى بأنها صاحبة المعرض واللوحات. ضحكنا من القلب معا. راحت تفسر لى مفهومها عن الفن بوجه عام، وكلى انبهار بتنوع ثقافتها وحسن حديثها وروعته. قالت انها ترى فى الفن شهوة سرية تنبعث من داخل الذات وخارج الزمن، وإنها تسكب على لوحاتها كل ما يمتلىء به ضميرها وروحها ووجدانها من مشاعر وأحاسيس. أكدت على أنه ليس بالضرورة استخدام العقل لتأطير المعانى التى تحملها اللوحة، لكن المهم هو ما تشف عنه تلك الخطوط والألوان والظلال وتناغم المساحات من معان غامضة تنبعث من اللاوعى الى الوجود الانسانى الرحب.

قلت لها إن الفن عندى هو إعادة صياغة الوجدان الانسانى وفق رؤية الفنان بما يحقق للإنسانية سعادة قوامها توازن مستقر هادىء بين الانسان والكون وخالقهما العظيم. صاحت بفرحة شديدة:

- أنت فنان وتخفى حقيقتك عنى. هل تمارس أيا من الفنون؟
- أنا ذواقة فقط بلا ممارسة. أعشق الموسيقا والغناء والطرب عشقا لاحدود له.

اصطحبتها فى عربتى – بعد موافقتها وترحيبها – الى حدائق المعمورة. أوقفت العربة تحت شجرة فى مكان شديد الهدوء لنستكمل معا حوارنا الشيق ، فضلا عن رغبتى الخفية – كزنديق معاصر - فى تقبيلها ، فقد كانت عيناها تحثانى بقوة على ذلك وما كان ينبغى على أن أقاوم رغبتى ورغبتها.

فجأة امتلأت الحديقة بمجموعة من رجال مباحث الآداب. راحوا يلقون القبض على كل رجل وامرأة يجلسان وحدهما داخل عربة دون تمييز ، وكأنهم يريدون أن يجمعوا أكبر عدد ممكن من الضحايا ليلصقوا بهم تهمة الفعل الفاضح. قبل أن يقتربوا منا سارعت بإدارة العربة واندفعنا بأقصى سرعة كما لو كنا مجرمين هاربين من العدالة. تصورت نفسى مقادا معها الى شرطة الآداب حيث نبيت فى التخشيبة انتظارا لحضور وكيل النيابة صباح اليوم التالى كى نستطيع إثبات براءتنا.

فى ذلك اليوم قررت أن أتخلص نهائيا من حماقة انجذابى المغناطيسى الى النساء واندفاعى الساذج نحوهن.

كان من المستحيل أن أحكى هذه الواقعة لبستان حتى تصدقنى. تألمت كثيرا فى تلك الليلة ولم أستطع النوم حتى الصباح، وكان أول تعارف بينى وبين القولون العصبى اللعين. راجعت نفسى طيلة الليل، وبينما كانت بستان تغط فى نوم عميق، كنت أتساءل هل أنا مصاب بعقدة "الدونجوان"، محاولا استكشاف أعماق نفسى من حيث تعلقى بالمرأة، ذلك التعلق البرىء الذى لايعرف النزول الى مهاوى شهوة الجسد. مشكلة الدون جوان هى التناقض بين عمق عاطفته الدينية وشدة شهوته الحسية. أنا عاطفتى الدينية بسيطة سهلة ، وسطية لاتطرف فيها ولا إيغال، أما شهوتى الحسية فأنا أقصرها على زوجتى. لم يحدث إلا فى القليل النادر أن اشتهيت امرأة من صديقاتى. هذه حقيقة ولو لم تصدقنى بستان ولو لم يصدقنى أحد. كما أن الشخصية الدونجوانية تتعلق بالنساء على نحو يفضى الى القلق، فالدون جوان يتفنن فى خداع ضحاياه، الأمر الذى لم يحدث معى ولن يحدث على الاطلاق. أنا لم أقل لواحدة أننى أحبها مالم أكن قد أحببتها بالفعل. الدون جوان يتمرد على الأخلاق والقانون وأعراف المجتمع رغم اعتقاده بأنه متدين، وأنا لست كذلك. هو يمضى عمره فى خيلاء وإعجاب شديد بالنفس ، وأنا أكتفى بثقتى فى نفسى دون أن أتجاوزها الى الكبر والخيلاء. هو شجاع الى حد التهور ، وأنا متحفظ شديد الحرص أعمل – قدر استطاعتى - لكل عمل حساب.

تساءلت كم تجربة حب يمكن أن يخوضها المرء فى حياته حتى يقفل باب قلبه ويبنى جدارا عازلا بينه وبين النساء. قد يستغرق بناء هذا الجدار العمر كله دون أن ينتهى.كم ينبغى أن يكون ارتفاعه حتى لا تستطيع امرأة أن تجتازه. ألا يكفى أن يعانى القلب مرة أو مرات ليتخذ من تجاربه عبرة ويغلق جميع أبوابه أم يجب أن تتعذب الروح مرات ومرات حتى تعلن التوبة؟.. لامفر من الحب فهو القدر هو الذى يرسم لنا معالم حياتنا فيأسر أرواحنا فى غفلة من الزمن ، وما أكثر غفلاته.

قلت – مجاملا نفسى - ربما لايكون العيب فى شخصى ، وإنما فى المجتمع المتفنن فى قمع العواطف. مكابر من ينكر أن مجتمعنا يعانى من ازدواجية صارخة فى الكثير من المفاهيم. الناس هنا يتحدثون عن الحلال والحرام أكثر مما يتحدثون عن ضرورة النهوض بالاقتصاد والتعليم والصحة. يصلى الرجل بجوارك فى المسجد، وبمجرد أن يخرج يطلب منك رشوة لتنفيذ مطلبك المشروع من المصلحة التى يعمل بها. يستنكرون الصداقة العلنية البريئة بين الرجل والمرأة ويفعلون فى السر مايندى له الجبين من خسة وابتذال للروح والجسد معا. لامانع لدى

بعض أفراد هذا المجتمع من أن ألتقى فى السر مع صديقتى فى بيتى أو فى بيتها ، ونفعل معا ما نريد ، ولكن أن نلتقى بتحضر فى مكان عام يرانا فيه الجميع ، فهذا عندهم هو الحرام بعينه. المصرى لايعانى من ازدواجية واحدة ، فهو يعيش فى تناقض لاحصر له بين العديد من الثنائيات طول عمره. هو يخشى الله ولكنه يزوغ من عمله الذى يتقاضى منه أجره، وإن بقى به فإنه لا ينتج. يتباهى بحضارة السبعة آلاف عام ثم يبول على الآثار كما شاهدت بعينى فى الأقصر مرة وفى الوادى الجديد مرة أخرى. يشكو من الإفلاس ويقترض لإقامة صوان للعزاء أو شراء أوقية حشيش. ينافق السلطة فى العلن ويلعنها ويسبها فى السر.. وأنا ابن هذا المجتمع وسليل أبنائه، فكيف لا أعيش ازدواجية واحدة فى أمر حميد هو العشق؟..

هأنا أنحاز لنفسى وألقى باللوم على المجتمع وازدواجيته- بل ازدواجياته – المزعجة، بينما أعطى لنفسى الحق فى ازدواجية مناظرة تتمثل فى عدم اكتفائى بحبى لزوجتى وبحثى المترصد عن حب جديد يعوضنى عما أعتقد – أو أوحى لنفسى بأن أعتقد – أننى أفتقده فى علاقتى العاطفية بها. طبيعة الحب خبيثة ماكرة. لاتجد عناء فى البحث عن المبرر الذى يوافق هوى المحب ويرضى رغباته.

ترى أين موقع القادمة الجديدة من بين شلال ذكرياتى وعواصف حاضرى. من أين نبع هذا الاهتمام وأين يصب، ولماذا انشغل فكرى بها مذ رأيتها الى حد ارتباكى الواضح فى شئون حياتى كافة. ما هذه الأنانية الفاحشة التى تتعاطى بها مع مشاعر زوجتك وكأنه من المحرم عليها أن تغار عليك. أنت لاتغار عليها لشدة ثقتك بها، ولأنها فى قرارة نفسها لاتنظر اليك كرجل عادى وإنما كإله له الحق فى أن يفعل مايريد. يمنح ويمنع كيف يشاء. معظم الأزواج المخدوعين كانوا – مثلى - يثقون بزوجاتهم بمثل هذا القدر من الثقة حتى اكتشفوا غفلتهم وسذاجتهم.

تردد مايردده هؤلاء الذين يسمون أنفسهم بالنخبة من المنظّرين لحال المرأة أن مجتمعنا مجتمع ذكورى. ماذا فعلت يا أستاذ الجامعة لتصلح من شأن هذا المجتمع وتغير من سلوكيات أفراده المريضة؟.. تردد مايقولون وتؤيده، لكنك لاتفعل شيئا لأنك سعيد بكونك ذكرا يستطيع أن يخدع أنثاه من وراء سواتر دينية وسلوكية مضللة، ويعمل جاهدا على أن ينفى كيانها على جميع الأصعدة طبقا لرغباته ونزواته كما لو كان ضعفها المهين قدرا مكتوبا عليها. تقول فى مجالسك الثقافية ان الله يقول بالتكامل بين الذكر والأنثى كتكامل الليل مع النهار فى قوله: "والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى"، لكنك تميز نفسك على بستان وتعطى نفسك حقوقا لاتجرؤ أن تعطيها لها أو تسمح لها بأن تعطيها هى لنفسها، فأنت غير متكامل معها كما يقول الله ، ولكنك متميز عنها، مفضل عليها. تبحث عن مبررات عقلية تسمح لك بالانسياق وراء لهفتك على رؤية لبنى والتفكير فى لبنى، ولم لاتقول فى حب لبنى؟.. ما أسهل أن أرغب فى علاقة بريئة بها وأن أجد لذلك تبريرا بأنها ستكون علاقة أفلاطونية بين رجل وامرأة تدعو الى الخير والرحمة والتسامح وتفيض بما يعتمل فى النفس من أمنيات وآمال وأحلام وعاطفة صادقة وشوق وحنين الى عالم الجمال المطلق حين يتجلى فى حب عفيف يقاوم شهوات النفس وملذاتها الجسدية الموقوتة العاجلة الزائلة، ويقوم على جهاد النفس أمام نزعاتها وما تركن اليه من شهوة وهوى يدفعان عنها السأم والملالة والتكرار والروتين. اننى أبحث عن بديل وهمى – أعرف أنه وهمى – لما تصبو اليه روحى العاشقة من تجربة خارقة تهز كيانى وتتيح لى أن أنهل من ينابيع الحياة المتفجرة بالعاطفة، فأطير الى ذرى النشوة العارمة التى لاتتاح للإنسان الا فى أحلام النوم وأحلام اليقظة، وتحلق بى فى عالم خيالى ساحر كله رضا وحرية وبهجة وسعادة. انها تجربة مغرية أتوق الى خوضها لكونها مشحونة بروح الحيوية والتوتر والخصوبة، رغم أنها منافية للاستقرار من حيث تعارضها الصارخ مع حياة رجل متزوج تنحو الى السكينة والمحبة الهادئة المستقرة الراسخة ، التى لاتعرف جنون العشق ولا تقلباته ونزواته.

انها الازدواجية المتناقضة بعينها.ما من مخلوق نجح فى ابتكار معادلة ذهنية أو نفسية توفق بين النقائض المحيرة بين الدنيا والآخرة. العقل والقلب. الحلال والحرام.المطلق والنسبى.الدين والفلسفة.الحب والعشق.. وعشرات المتناقضات الأخرى التى يصعب أن تتكامل، فهل أستطيع أنا بما أوتيت من قدرات لا بأس بها من الفكر والثقافة ورهافة الحس ، أن أجد معادلة توفيقية لاتلفيقية أجمع فيها بين حبى الراسخ لبستان وحبى القادم لامحالة للبنى؟..ربما كان بمقدورى أن أنجح فى ذلك لوكان أبو حيان التوحيدى قد نجح فى خلق تكامل بين اللذة الجمالية الحسية الممثلة للتراث اليونانى ، وبين اللذة الجمالية الروحية الممثلة فى التراث الاسلامى، وهو الذى عشق الاثنين معا..ربما كان بمقدورى ذلك لو لم أخف من أعداء الحب أو أشعر بوخز الضمير ، فأتطهر بدموعى وأترفع عما يدعوه الناس عيبا وعارا، وأحرر معصمىّ وقدمىّ من أغلال الشرائع والنواميس التى سنتها التقاليد والأعراف للتحكم بعواطف القلوب المحبة وسد سبل الحياة والحرية أمامها بحيث لا يبقى الا الفراق والوداع فتكون الغلبة للسقماء ضعاف النفوس أعداء النور والحب والحياة.

ياه..كفاك ارهاقا لنفسك بوجدانك الشقى، فما أحوجك الآن الى استراحة طويلة لذهنك، ولتدع الحياة تسير كما تسير، فقد سلخ أسلافنا نحو مليون سنة من أعمارهم ليتعلموا كيف يمشون على أرجلهم الخلفية.

****

لبنى سعيـــــــد

****

بعد أن عبرنا الشارع اتجهنا الى حيث تقف عربتانا. كان لابد أن نفترق ويذهب كل منا الى حال سبيله ، ويمارس حياته كما كان يمارسها من قبل. ربما كان يعتقد هو فى ذلك وهو محق ، أما أنا فقد كنت أعرف أننا من بعد عبور هذا الشارع سوف نبدأ معا حياة جديدة تتحدى كل التنبؤات. لم أشعر بحزن لأننى سأفارقه فأنا أعرف أنه منذ الآن لن يكون هناك فراق، وأننى سوف أجذبه معى الى عالم جديد مسحور ، ننعم بجماله ونمضى بقية عمرنا فى جنته معا .

لماذا تزوجت رجلا جاف المشاعر ذا كرش كبير ، ملامحه غليظة قاسية؟..ما الذى جعلنى أنساق وراء عرف اجتماعى فاشل هو ضرورة تكوين أسرة عمادها رجل مقتدر ماديا وعلى خلق، لايعرف الخمر ولا النساء ولا القمار. ذلك هو أقصى ما يطمح اليه الوالدان لضمان مستقبل ابنتهما. نعم ، رجلى لايعرف كل تلك الموبقات. لكن ليس مهما عند أبى وأمى أنه لايعرف أيضا كيف يحب الشعر أو يستمتع برؤية فازة مليئة بالورود موضوعة على مائدة الطعام. مسكين زوجى. كأنما ينطبق عليه المثل الذى يقول بأن "من لم يحركه الربيع وأزهاره ولا العود وأوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج". ان أعظم مشكلة فى حياة صفوت هى أنه لايجد الوقت الكافى حتى لممارسة حياته العادية، فاليوم بطوله مقسم على جدول الدروس الخصوصية. زوجى لايعرف كيف يدندن على موسيقا أغنية لفيروز. لايعرف حتى كيف يقبلنى فى أى وقت غير أوقات اللقاء على الفراش. ليتنى كنت قادرة على أن أكرهه حتى أريح بالى. مالى أبحث اليوم عن عيوبه. أفتش فيها وأذكّر بها نفسى وعلى رأسها غيرته الخفية منى. لم لم أفعل هذا إلا بعد أن حملنى شوقى على كتفه اليمين مرة وعلى كتفه اليسار مرة أخرى؟..لايمكننى اتهام صفوت بالبخل فهو ليس بخيلا، لكنه حريص بدرجة عالية. لاينفق القرش إلا فى محله. ذلك شىء لايلام عليه، لكنى أجتهد فى البحث والتنقيب عن عيوب تدينه أمامى وتبرر لى ميلى الغريب المفاجىء لذلك الرجل الذى عبر بى الطريق الطافح بالمياه دون أن يعبأ بشىء.

تصافحنا وكل منا ينظر الى الآخر وعلى لسانه تساؤل وفى قلبه حيرة تضرب بقوة فى غرفاته الأربع. إنطق ياشوقى. تكلم حتى نعيش معا حياة نستحقها لا كما يعيش العوام والهوام .

- **هل يمكن أن أستعير منك نسخة من أحد أعمالك؟**

لدى معرفة يقين أننى وهذا الرجل كنا نبحث عن بعضنا البعض منذ عشرات السنين، وربما منذ مئات السنين، أو حتى من قبل أن يخلق هذا العالم. أقولها لنفسى وأنا فى كامل قواى العقلية ، فلو قلتها لمخلوق آخر لوصمنى بالجنون عن جدارة.

- **أنت تعلم أننى لست روائية وكل نصوصى المكتوبة عبارة عن سيناريوهات وحوارات**
- **أعرف، لكنى لم أقرأ سيناريو من قبل وبى شوق لذلك**
- **من عينىّ يادكتور. بكرة ان شاء الله يكون أهم أعمالى بين يديك**
- **اتفقنا ولكن كيف سآخذه منك؟**
- **سأحضره لك بنفسى فى مكتبك**
- **ولكنى فى إجازة من الكلية اعتبارا من باكر**

أيتها الدنيا الحرون. لاتظنى أنك تلاعبين امرأة سهلة ساذجة.أنا أعرف كيف ألاعبك مادام الأمر متعلقا بهذا الرجل.

- **حدد لى أين ألقاك لأحضره لك**

فيم تفكر يارجل؟.. ألم تتذكرنى حتى الآن يامن حملتنى حتى الآن على كتفك مرتين. مرة وأنت فى ريعان شبابك وأنا فى عمر الزهور، ومرة بعد مرور ما يقرب من ربع قرن. لو طلبت منى أن ألقاك فى الصين لسافرت إلى عينيك فوق براق ملائكى يحملنى اليك بكل شوقى واحتياجى للقائك.

- **ما رأيك أن نلتقى على الشاطىء فى مكانى المفضل؟**

- لاكوارتا؟؟
- كيف عرفت؟
- رأيتك مرة وأنت جالس فى الطابق الأسفل من الكازينو تصطاد السمك
- متى؟
- منذ سنوات عديدة

فى ثوان تبددت معالم الدهشة التى كست وجهه حين سمع إجابتى.قال كأنه لم يسمعنى:

- عظيم. سأنتظرك صباحا فى العاشرة ونتبادل المؤلفات
- هل ستحضر لى شيئا من مؤلفاتك ؟
- لا. سأحضر لك كتابا قرأته مؤخرا وقد أعجبنى جدا وأحب أن تقرئيه
- ما عنوانه؟
- سيكون مفاجأة لك
- وما سر اختيارك له
- والله لا أعرف. مجرد أنه خطر ببالى الآن ونحن نتكلم

بعد انصرافى ندمت لأنى لم أذكره بواقعة مستشفى الأقصر. لاحظت حيرة شديدة فى عينيه وهو ينظر الى بينما يخاطبنى. أشعر بإشفاق شديد عليه كما أشفق على طفل وهو نائم. إنه يريد أن يتذكرنى لكنه لايستطيع.ذاكرته لاتسعفه. نعم أنا يارجل. أنا ياذا العينين الخضراوين والقد الرشيق واللفظ الأنيق. أنا يامحب الشعر والموسيقا والغناء والوطن، مثلى تماما. أنا بحاجة اليك مثلما أنت بحاجة الىّ . أريد أن أحبك.لا. أنا أحبك منذ الأزل.

عدت اليه من جديد وبى عزم صارم.فوجىء بعودتى.سيطر على دهشته للمرة الثانية.

- ألا تذكرنى يادكتور؟
- لا أفهم ماذا تقصدين. لقد كنت فى جوارى منذ دقائق
- ألا تتذكر أنك رأيتنى من قبل؟
- نعم لا أتذكر، وإن كانت معالم وجهك ليست غريبة على
- هل تذكر رحلة الجامعة الى الأقصر وأسوان عام1992؟
- نعم
- هل تذكر الفتاة التى صدمتها العربة وحملتها الى المستشفى؟
- نعم.. هى أنت يالبنى. أخيرا تذكرتك.هو أنت.لا أحد غيرك.لكن لماذا أخفيت عنى ذلك حتى الآن؟
- كنت أنتظر وأتمنى أن تتذكرنى من تلقاء نفسك
- كنت أيامها فى الليسانس..صح؟
- صح يادكتور. والله صح
- إذن أنا صرت متخصصا فى حملك
- نعم.ولكن فى المرة القادمة ستحملنى الى الجنة
- أى جنة؟
- جنة القرب منك

تغيرت معالم وجهه فجأة. امتزجت الدهشة بشىء من الاستنكار لجرأتى.قال بنبرة قوية:

- اسمعى يالبنى. اعملى معروفا. أتركينى وحدى الآن من فضلك

صدمنى قوله. قلت له فى أسى:

- ألن نلتقى بكرة؟

أجابنى وهو منشغل بوضع الطعم فى الصنارة متجاهلا وجودى تماما دون أى مبرر أستطيع فهمه لذلك. امتزجت تنهداتى بتنهدات الموج وهو يقول:

- سنلتقى إن شاء الله

ألم أقل لنفسى من قبل إنه رجل غير عادى؟. فجأة يلغينى من الوجود وأنا أمامه.يحذفنى ، لكن برقة رهيبة ، فلا أملك إلا أن أستجيب له وأنصرف لأمضى ليلتى أحلم بلقائه وأستمع الى قصيدة أم كلثوم"أغدا ألقاك". أفتح نوافذ عقلى وقلبى على بستان روحى. أنظر الى العالم بمنظور جديد متألق ، فأراه أكثر جمالا وبهاء. منظور يؤكد على استمرار حياتنا معا فى السماء بعد انتهائنا الفيزيقى على الأرض وتحلل أجسادنا الى عناصرها الأولية. فى الصباح ارتديت أجمل وأبسط ملابسى. كان اللون الأخضر غالبا عليها، فلون عينيه يعيش فى عينى أينما حللت. أحضرت معى سيناريو تمثيلية"قانون الحب" والتى اخترتها من بين أعمالى عن قصد.

كانت صفحة البحر هادئة ساكنة أصفى من قلوب العذارى، حين غرد بلبل طائر فى البرزخ الروحى الواصل الفاصل بينى وبين شوقى الجالس أمام البحر كملك جالس على عرشه، يستمع الى موسيقاه المفضلة تنبعث من جهاز صغير بجواره. تبدو هيئته كفرعون مصرى عظيم ، ارتضى أبوللو صاحب المركبة الذهبية أن يعزف له الموسيقا التى يحبها، مثلما ارتضت ديانا ربة القمر أن تأتيه خصيصا فى الصباح لترقص له رقصة الحب الخالدة بصحبة عرائس البحر الخضراوات، بينما يحوم كيوبيد بجناحيه الرقيقين فى الفضاء المحيط قبل أن يستقر على مكان يحط فيه جعبته المليئة بالسهام.

دخلت الكازينو العتيق الذى يقع بين سيدى جابر وكليوباطرة.. الطابق العلوى هو طابق العشاق ، أما الطابق السفلى فهو لراغبى الاستحمام أو الجلوس فى مواجهة البحر مباشرة ، حيث تصطدم الموجات المتدافعة بسور الكازينو مسفرة عن رذاذ خفيف منعش حين ينتشر بين نسمات الصباح وهى تداعب الوجوه. أنا الآن فى الطابق السفلى. الدكتور يجلس على مقعد من الخوص واضعا على رأسه قبعة صيفية صفراء. البوصة فى يده والمذياع بجواره. أقف من خلفه أرقبه.يغلق الجهاز. يعيد تشغيله على أغنية أم كلثوم:"أغار من نسمة الجنوب على محياك ياحبيبى". السيجارة فى فمه والابتسامة التى تذهب بعقلى رأيتها مرسومة على شفتيه حين التفت فجأة الى يمينه. رذاذ البحر يهفو الى ملامسة وجه ذلك الساحر الذى يستنبط من أعماقه السمك وهو يدندن ويصفر وكأن الدنيا بأسرها قد ركعت بين يديه ، ثم ارتمت فى أحضانه طالبة الرضا، بينما هو يعب البيرة فى تأن شديد وباستمتاع فوق الوصف. هذا الرجل يعرف كيف يرتشف رحيق السعادة من الدنيا بثقة وعلى مهل. خصاله تكاد تسلب عقلى إذ تتطابق تماما مع خصالى. نكاد نكون نسخة كربونية من بعضنا البعض فى كل شىء. هل يعقل أن تأتى المصادفات بمثل هذا التطابق؟

- صباح الخير
- صباح الجمال

كان صفاء ابتسامته أشبه بمعجزة الهية من معجزات الجمال التى حبانا الله بها فى دنيانا الرائعة

- اقعدى يالبنى

سحب مقعدا صغيرا الى جواره.جلست تفصل بيننا عدة سنتيمترات. ما أجمل القرب منه وما أروعه. رائحته تفوح فى أنفى ممتزجة برائحة السمك والطعم ويود البحر. ناولته المؤلف بعد أن قمت بالأمس بتجليده تجليدا فاخرا بمكتبة شهيرة تعظيما لقدره.

- ماهذا؟..قانون الحب !

وانفجر فى الضحـــك.

- هل للحب قانون يالبنى؟

أجبته بثقة وأنا أهز رأسى مبعدة خصلة من شعرى عن عينى لعب بها الهواء :

- نعـــم

قمع نظرة التساؤل التى أطلت من عينيه، فكيف يسألنى سؤالا كهذا وهو الخبير العليم بدنيا الهوى والعشاق كما قرأت فى عينيه وكلماته وأفكاره، وكما شهدت التفاف النساء من حوله فى الكلية أينما حل.

ونحن نشرب الشاى قال لى فى استرخاء تشع السكينة والطمأنينة من حوله.

- **ما هو هذا القانون ياترى؟**
- **قانون الحب ألا قانون له**
- **إذن فالمسألة مجرد تلاعب بالألفاظ**
- **أبدا. حين تجرب الحب وتعيشه بقلبك وروحك ستصدقنى**
- **ومن أدراك أننى لم أجرب الحب وأرتشف من رحيقه وأكتوى بناره؟**

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة متأملة. سألته:

- **لماذا تضحك يادكتور؟**
- **تذكرت بيت شعر لفاروق جويدة يعبر عن حالى فيما سبق من العمر والتجربة**
- **ألا يجوز لى أن أسمعه؟**
- **يقول فيه:**

"مازلت أعشق رغم أن هزائمى/ فى العشق كانت دائما مأساتى".

- **الله عليك يادكتور. واضح أننا نتفاهم بسرعة البرق، فنحن أبناء قبيلة واحدة**
- **كان هذا واضحا منذ البداية وليس من الآن**
- **أية بداية تقصد؟**
- **الأقصر !**
- **اذن فقد عادت اليك ذاكرتك العقلية والحمد لله**
- **وهل هناك ذاكرة أخرى؟**
- **نعم، هناك ذاكرة القلب**
- **وماهى ذاكرة القلب يالبنى؟**

يسعدنى سماع تكرارترديده لإسمى مع كل تساؤل. أفرح. أطير

- **هى التى مازلت أذكرك بها منذ لقائنا الروحى الأزلى**
- **واضح أن رومانسيتك ليس لها حدود**
- **ذاكرة الروح لاتعرف الحدود**
- **ايه الحكاية؟.هل للروح أيضا ذاكرة؟**
- **نعم ، لكنها لاتعرف الزمن ، وهذا هو الفرق بينها وبين ذاكرتى العقل والقلب**
- **اذن فقد كان اختيارى صحيحا حين أحضرت لك هذه المجموعة القصصية**

ناولنى مجموعة قصصية عنوانها:"رحيق الروح". صحت فرحة:

- **الله.عنوان جميل**
- **لقد أثبتنا اليوم معا فى دقائق معدودة أن للروح رحيق وذاكرة**

فجأة ترك البوصة وأغلق الجهاز وأشعل سيجارة ثم نظر فى وجهى بتركيز غريب:

- **اسمعى يالبنى. أنا أشعر بالخوف من إقدامك الشديد نحوى وإقبالك على**
- **لاتخف منى أرجوك ، فأنا أموت ولا أسبب لك ضررا من أى نوع**
- **نبرات صوتك ترتجف حنانا ورقة لاقبل لى بمثلهما ، وانقطاعى عن دنيا المرأة بمحض ارادتى منذ عدة سنوات يجعلنى مرتبكا فى استقبال عطائك**
- **شوقى الراهب لايرتبك أمام امرأة خلقت للحب رغم أنها لم تحظى به من قبل**
- **سامحينى لصراحتى المزعجة. أخشى أن أكون قد جرحت مشاعرك**
- **النسيم لايجرح يادكتور**
- **دعينى أقر لك بأننى عاجز حقا عن مواجهة هذا السيل الكاسح من الرقة والجمال .**

****

شـــــوقى الراهب

****

إذن فهى تلك الفتاة الشقية التى كانت ترتع بالدراجة فى شوارع الأقصر، وتقف أمام التماثيل تلتقط لها الصور فى انبهار ورهبة وفرحة. يبدو أنها كانت شاردة فى تاريخ أجدادها الفراعنة وهى تجرى بالدراجة حين صدمتها العربة. جريت مسرعا وقد تكومت على الأرض بجوار دراجتها. النذل الذى صدمها هرب ولم يقف. تطوع آخر بنقلها معى بعربته الى المستشفى القريب. حملتها على صدرى كما لو كانت ابنتى. عندما أفاقت قالت لى:

- أشكرك يادكتور

لكنها قالت لى بعينيها كلمات أخرى لم أفهم مغزاها جيدا فى حينه.

●

- أنا معجب بحوارك. صحبتك الجميلة مع روايتك أنعشت روحى

- وهل توصلت مثلى إلى أن الحب ليس له قانون؟

- معك حق. انه أشبه بالزلزال يدهمك فجأة فلا تستطيعين أن تفعلى شيئا

- لاتحير نفسك يادكتور. لاتقع فى رهبة الحب فهو أجمل ما فى الحياة. اعتبر نفسك تبدأ حياتك من جديد ، وطالما أنت معى فلن تنقطع عن هذا العالم الجميل الذى لم تنقطع عنه فى الحقيقة من قبل، منذ التقت فيه روحانا على غير موعد.

" تتحدث بثقة شديدة فيما تقول وأعتقد أنها فى الأغلب صادقة مع نفسها، لكن لابد أنها مجنونة حتى تربطنى بها فى يقين غريب لم أستشر فى مشاركتها إياه أو حتى فى قرارها الجرىء بوجوده كأمر واقع علىّ بقبوله ".

- بصراحة أنا غير قادر على استيعاب ما يحدث بينى وبينك، غير أننى واثق أننى سعيد ومنبهر بك كطفل.

- ياسيدى أنت لم تكن يوما بعيدا عنى

"عادت من جديد الى جنونها الجميل"..واصلت:

- القرب ليس له علاقة بالمسافة بين شخصين قد اندمجت روحاهما فى عالم المطلق.

محاولا السيطرة قدر جهدى على الذهول الذى استبد بى ، قلت:

- أفكارك غريبة جدا. لا أستطيع ملاحقتها بالفهم والاستيعاب أولا ثم بالتصديق ثانيا، غير أننى واثق من صدقك فيما تعتقدين

- وماذا بعد ثقتك؟

- أخشى أن تتحول سنوات الهدوء والسكينة التى عشتها مؤخرا الى مجرد لحظة وانتهت، أعود بعدها الى حب جديد

- وما الذى يمنعك بالله عليك؟

- تكاليف هذا الحب المعنوية باهظة ، لم تعد أعصابى تتحملها أوتصمد أمام أنوائها

- لكنى أراك مشدودا الى التجربة ولا تستطيع أن تنكر ذلك

- حتى لو صح ذلك فإنى أخشاها وأعمل لها ألف حساب وحساب

- لقد خضت فيها وانتهى الأمر يادكتور

رغم أننى لم ألتق فى حياتى بامرأة تحاول فرض نفسها على رجل بهذه الجرأة المقبولة وبهذه الثقة المجنونة فى اعتقادها بأنهما التقيا فى المطلق بروحيهما وما الى ذلك من جنون مذهل تتناثر عباراته من فمها بمنتهى البساطة ، إلا أننى وجدت نفسى أقول لها:

- لقد أعدتينى من جديد الى التذبذب بين الزهد والرغبة، والذى سوف تقرئين عنه فى هذه المجموعة القصصية تحت عنوان"المعضلة الكبرى".

- لاتخش منى على نفسك أبدا فالملائكة تحرسنا معا

- وهل خلق الله الملائكة لتتفرغ لحراستنا يالبنى؟

- الملائكة فى الأصل هم خدام الله ، لكن لهم دورا آخر كخدام لنا نحن العشاق، فعليهم حمايتنا من الآخرين ومن أنفسنا حتى ننجز الغرض الحقيقى من وجودنا على الأرض ، وهو الحب. انهم يحملون الينا الحب ومعه ضوء الحقيقة الأبدية حتى نرقى ونتسامى فيفرحون لسعادتنا ويطربون لها ويرقصون
- الملائكة ترقص يا لبنى؟!!
- نعم ترقص ياحبيبى ، ورقصها عبادة

ها قد وصلت بجرأتها الى منتهاها وأنا عاجز عن فعل شىء يوقف هذا الطوفان من الجنون المربك .

- أنا لن أرتاح أو يهدأ ضميرى الا اذا أعلمت زوجك بصلتك بى حتى لا أشعر أننى أخدعه فى غيابه وأنا لا أعرفه وهو لا يعرفنى.

قالت وكأنها تعاملنى كطفل على قدر عقلى الصغير ، وأنا أعرف أن ما أطلبه أقرب الى المستحيل :

- أعدك أننى سأفعل ذلك ولكن فى الوقت المناسب

●

هأنت تسقط بإرادتك فى الحب من جديد ، بعد كل تلك الدروع الفولاذية التى أقمتها حول نفسك من زهد واستكفاء واستغناء. تعود طفلا من جديد تملأ الدهشة قلبك وتغمر البراءة كيانك، وكأنك لم تعش حياة طويلة عريضة عميقة حافلة بالمتع والتجارب والأسرار والأفراح والأتراح. لايمكن لعاقل أن يتصور أن رجلا تجاوز السبعين راح يستمع من جديد فى نشوة الشباب الى أغانى الحب والهيام، ويستسلم لخفقان قلبه عند لقاء الحبيب. هل يمكن لانسان طبيعى أن يتصور كيف تعين المحبوبة حبيبها على تخيل مكان سكنها بأن تصور له الشجرة المواجهة لشباك غرفتها على فيديو فى الموبايل، ليشاهد رقص الأغصان مع النسمات، ويسمع حفيفها متناغما مع زقزقة العصافير، وتغمره نشوة القرب من المحبوبة وهو عنها بعيد لايمكن أن تجمعه بها غرفة واحدة. لست أتصور أن أتعرض من جديد لأحوال تجعلنى أتوق دوما الى الحديث عن حبى وعن حبيبتى وجمالها ووصلها وهجرها وقربها وبعدها والشوق اليها ولوعة انتظار لقائها وروعته، والحيرة فى أمرها وما يعترينى من شجن واضطراب وقلق ووجد وسهاد بشأن أحوالها.. أن أصبح أنيسا لليل من جديد، صديقا للكأس والنديم والخمر والحان والنشوة ومعايشة أحوال شديدة تسطو علىّ من سكر وإفاقة وصحو ومحو وجمع وفرق وشوق وحنين ووصل وفصل.. أن أكون هدفا سائغا لأعداء الحب والمحبين من الرقباء والوشاة والعذال والحساد، فأعانى من أفعالهم وأنكوى بنيرانهم.

لا أصدق. لا أتصور. لايمكن..وغيرهم من أدوات الإنكار والاستنكار مللت من ترديدها لنفسى. ماحدث قد حدث. تملكنى ذلك الشعور النبيل المقدس وتمكن منى فملك على كل كيانى بما انطوى عليه من عواطف ومشاعر ووجدانات وأذواق وملكات نفسية وخيالية آخذة فى النمو والتزايد ، حتى بت أخشى على نفسى من الجنون. لطالما بحثت فى حقيقة ذلك الشعور الذى تمكن منى ، فوجدت البعض يصفه بأنه ارتياح فى الخلقة وفرح يجول فى الروح وسرور ينساب فى القلب. ووجدت البعض يصفونه بأنه أظهر من أن يخفى وأخفى من أن يرى. كامن كمون النار فى الحجر. ان قدحته أورى وان تركته توارى. هو الامتزاج الروحانى ، وهو علة نفسه فليس له علة. هو انجذاب عفوى الى سرّ خفى من أسرار الجمال الذى تدركه الروح وتفرح به دون العقل والفكر ، كأشعة من نور تنبعث من قدس أقداس النفس لتجد قلبا يستقبلها ويحتضنها فيتولد عنها ذلك الميل السحرى الذى تعجز الكلمات عن وصفه حين يجمع بين الحبيبين . قالوا ان الله تعالى قد خلق الأرواح كلها على هيئة كروية ثم قطعها أنصافا فجعل فى كل جسد نصفا، ليظل كل نصف يبحث عن شريكه، وحين يلتقيان يتم بينهما العشق. هل تكون لبنى هى نصفى الذى أبحث عنه والذى احتجزه لى القدر حتى نتكامل معا ونتوحد فيقول كل من للآخر : يا أنا؟..

هل تختلف تجربتى معها عن كل ما خضت من تجارب فى ذلك المحيط الهادر الذى طالما سبحت فيه وصارعت أمواجه دون أن أغرق حتى اليوم؟.. أعلم جيدا أن من لم يترك كثيرا مما يشتهيه وقع فى كثير مما يكره. رغم ذلك فبى شوق عارم للسباحة فى محيط لبنى مهما انطوت جوانحى على لوعة حارقة ومستقبل مجهول..ولن أكون أول عاشق للروح أو آخره ، فهكذا تقول الحياة بأحوالها وطبائع ناسها ، مثلما يقول فيلسوف بأن "النفس اذا أدركت جمال نفس انسانية مناسبة لها ادراكا خاليا من العلل والعوارض، يحصل لها من الابتهاج واللذة بجمال ما أدركت مايزيل عنها كثيرا من حب الشهوات البدنية التى كانت قبل هذا مألوفة لها ، حتى أنها اذا أمعنت فى ذلك تنصرف عن عشق بدنها الذى كانت تحبه وتعشقه بطبعها ، ولهذا نجد العاشق يسلبه عشقه للكمال لذة المطعم والمشرب والنوم ، وهى من الأمور الضرورية للجسم، بل يحصل للنفس من الطرب والسرور بما هى فيه من اللذة الروحانية مايشغلها عن الشعور بما فاتها من اللذات الخسيسة".

●

لأن تكرار اللقاءات كان أمرا صعبا تحفه المحاذير، ولأن الاتصالات الهاتفية تكاد تكون مستحيلة فى مثل ظروفنا العائلية المشتركة، ولأنه كان لابد أن نتواصل بشكل أو بآخر لنعرف على الأقل الى أين ستصل بنا مشاعرنا وأفكارنا واهتماماتنا المشتركة، فقد اتفقنا على أن الوسيلة المثلى لذلك هى برامج "الشات" المتاحة على المسنجر والواتساب وغيرهما من برامج التخاطب الحديثة، على أن يقوم كل منا بإلغاء الحوار الكتابى ومسحه نهائيا من صفحته على الموبايل أو اللاب توب بعد الانتهاء منه مباشرة. أما الحوارات المسموعة من خلال نفس البرامج فيستحسن أن تكون فى أضيق الحدود.

ايه يادكتور.أيها الصبى المراهق. كيف ترتضى لنفسك هذا النكوص؟.. هل أحببت لبنى الى حد أن تقبل بالتنازل عن هيبتك ووقارك وثقافتك لقاء القرب منها والانتشاء بسماع صوتها الجميل وضحكاتها العذبة وأفكارها المجنونة. ألا تخشى أن يقرأ أحد أيا كان حواراتك السرية مع محبوبتك؟..أنا لا اخشى أحدا. أنا أتبع قول الرومى:

"ان المحبة فى القلوب حياتها/ وجميع من جهلوا الهوى أموات"

ولأننى لست من الأموات فقد بدأنا التحاور على الشات:

- يقولون إن مستقبل الخير(بكسر الباء) أحوج الى عون الله من مستقبل الشر، وأنا أتعرض بعد هذا العمر الطويل الى هجمة خير شرسة يقودها حب يفوق الخيال فى مباغتته وعبثيته وقوته، فألهمنى يارب كيف أحسن استقبالها
- يا حبيبى ان الله بعث لنا من أوسع أبواب رحمته شجيرة ورد كى نرويها ونرعاها سويا حتى تنمو وتكبر وتتجذر.هل تتصور أننى أشم رائحتها بروحى وأشعر أن رحيقها يجرى فى عروقى ممتزجا بدمى !..
- الرحمة يا الهى. على مهلك ياعزيزتى علىّ، فأنت تخاطبين عجوزا قد تجمدت عواطفه تجاه المرأة منذ سنوات
- أرجوك لاتنطق هذه اللفظة التى أكرهها والتى يسىء الجميع استخدامها
- كيف؟
- الفعل الثلاثى الأصلى لهذه الكلمة هو"عجز"- بفتح الأحرف الثلاثة – أى لم يعد قادرا على فعل ما بسبب عجز ما، لكنك لو بلغت التسعين ومازلت تتمتع بهذه الروح والحيوية والابتسامة المشرقة والقدرة على البحث والإبداع، فكيف تسمى نفسك عجوزا؟ انى أرفض هذه اللفظة رفضا تاما ولا أدخلها ضمن قاموس حياتى بالمرة. ثم انك لابد تعلم أن نيلسون مانديلا قد حقق معجزة كبرى بأن أحب "جراسا" وهو فى الثمانين، وكان قد أحب"وينى" وهو فى عمر الشباب ولكنها خانته وهو سجين معركة الحرية بعد أن كتب لها من داخل زنزانته مئات الخطابات الرومانسية. وبعد أن طلقها قالت مبررة موقفها انها لم تعش معه سوى ثلاثة أعوام وافتقدته ثلاثين عاما، وفى الوقت الذى قرأت فيه نبأ

زواجه فتحت كتابا قديما كانت تحتفظ به وشمت وردة كان قد قدمها لها فحفظتها بين أوراق الكتاب، لكنها ذبلت بفعل الزمن وضاعت رائحتها. أما جراسا التى انشقت عنها السماء فكانت بمثابة نسمة ندية فى لهيب حياته الثورية، أعادت العشق الى قلبه من جديد، فحولت خريف عمره الى ربيع ملىء بالزهور، حتى أنه قال ان الحب الجديد يعنى ولادة جديدة للدنيا ، فالحياة الخالية من الحب هى حياة جدباء مقفرة أقرب الى الموت.

تنهدت طويلا قبل أن أقول:

- سلبت عقلى منى ياحلوة الحكى والروح، فاحفظى الأمانة يحفظك الله
- ربنا وحده يعلم أنك أصبحت أغلى عندى من روحى
- سأظل غير مصدق لكيف ولماذا حدث بيننا ما حدث من تلاحم روحانى بأسرع من برق السماء
- مالك يارجل؟..لا تسأل كيف أو لماذا فإن مابيننا أصبح حقيقة ساطعة
- أنا أعانى من القلق عليك مثلما أعانى منه على نفسى
- وأنا لا أعرف القلق فى حبك ولن أعرفه، لأنى واثقة أن الله سيحفظنا ياغالى ويحمينا من كل شر مادمنا قد تعاهدنا من صميم قلبينا على ألا نتجاوز حدوده أو نقترف محرماته. ربنا يخليك لى ياروحى
- عزيزتى: مازال السؤال المحير نفسه يصدمنى فى كل وقت ولا أستطيع إجابته
- أى سؤال؟
- هل يعقل أن أحب من جديد وبهذه القوة؟
- ولم لاتحب ياحبيبى وقد بدأنا صباحا جديدا من العمر؟
- معذرة لسؤالى الجارح: هل تستخدمين مع زوجك نفس مفردات حبيبى وروحى وقلبى؟
- اسمع ياشوقى. أنا لى قلب واحد وروح واحدة، ولك أن تفهم ما أعنيه بقولى هذا وأن تصدقه أو لا تصدقه..أم تفضل أن أناديك بياعزيزى بينما أحمل لك كل هذا القدر من الحب؟..لماذا تسرف وتفرط فى التفكير بهذه الكيفية حول علاقتنا وكأنك تضعها تحت الاختبار فى معمل كيمائى تتحلل فيه العناصر الى جزيئات وذرات؟

كان انفعالها شديدا وصادقا. عند هذا الحد طلبت منى أن أكف عن الكتابة ونواصل الحوار عبر المايك ففعلت. واصلت احتجاجها بصوت جريح أثار ألمى وشجونى. قالت:

- كثيرا ما قرأنا روايات وقصص عشنا معها أجمل لحظات عمرنا ، تغمرنا البهجة ويشملنا السرور لسعادتنا بالتكامل الوجدانى بين حبيبين دون رباط قيد أو أوراق رسمية، حيث أنه اندماج روحانى بحت خالص الصفاء. ماذا جرى لك؟ هل تنتابك الغيرة من زوجى؟ ولماذا لم تصبنى أنا تلك الغيرة تجاه زوجتك؟ هل لأن احتياجها لك لايتجاوز حدود الملكية وحماقة النرجسية أم لماذا؟..الذى أعرفه عنك أنك رجل شديد الاعتداد بالنفس وتملك من ثقتك بها تاريخا قديما منذ أن كتب اسمك فى سجل المواليد. لماذا حيرتك يارجل، وفيم تساؤلاتك ووساوسك القهرية التى تفرضها على نفسك فينأى بك عذاب التفكير عن نشوة ارتشاف أريج المحبة؟..هداك الله الى حبى وكفى. الق يارجل بارتباكك الشعورى المزعج هذا الى الجحيم واهنأ بالجنة التى أهداك الله إياها ولا تتبطر على النعمة فتزول منك.

توقفت قليلا وأنا أسمع صوت لهاث خفيف. لم أعقب. اكتفيت بتنهيدة طويلة عميقة. واصلت:

- ان لم يرتشف المحبون كؤوس الحنان من بعضهما البعض، تحولت العلاقة بينهما الى ملكية وتملك. ان نظرة الحنان بين حبيبين تمثل دنيا كاملة لمعان وكلمات ومشاعر تمضى كالإعصار تخترق الصدر وتصل الى عمق القلب، فتتنفس الروح وتنطلق محلقة فى الأعالى.
- أخشى أن تتجاوز بنا مشاعرنا نظرات الحنان الى ما هو أبعد من ذلك فنحن بشر من لحم ودم وأعصاب

- لاتقل هذا ياشوقى ، فأنت لم ترغب يوما أن يلتحم جسدك بجسد أنثى لم تحل لك وإن راودتك بعضهن عن نفسها،لأنك تحفظ حدود الله وترعاها.
- أنا آسف. قلبى يحدثنى أننى أثقلت عليك بكثرة هواجسى وشعورى المتأصل بالذنب تجاه زوجك الذى لاأعرفه وزوجتى التى لاتعرفينها. انى أقدر مشاعرك تجاهى وأعتز بها وأحترمها فوق ما تتصورين. أعذرينى يالبنى. أنا مرتبك.

عقبت بثقة متناهية ونبرات شديدة الهدوء:

- لاتنزعج ، فبكل ما فيك يمكننى أن أحتويك

دهشتى من جرأتها تفوق دهشة طفل برىء لم يعرف بعد شيئا عن الدنيا. من أين لها بهذه الثقة الجبارة بنفسها وبأفكارها وبحتمية انصهارى فى حبها.

فى نهاية لقائنا الأول لم تكن لدى نية مؤكدة على أن أعاود لقاءها. قلت لها اننا أصبحنا أصدقاء، لكننا لن نلتقى بعد ذلك إلا إذا كان لكل منا رغبة ملحة فى لقاء الآخر. قلت هذا كتمهيد إنسانى راق للفراق دون إحراج لها. لكنى فوجئت بها تقول لى بنفس الثقة المفزعة إنها متأكدة من أن الرغبتين ستتلاقيان عندنا بلا أدنى شك بمجرد أن يريد أحدنا أن يرى الآخر!!

لدى سماعى عبارتها الأخيرة تذكرت نكتة كاريكاتيرية قرأتها منذ سنوات عديدة بجريدة الهيرالد تريبيون حين كنت فى زيارة لاحدى الجامعات الأوروبية. لم تفارق هذه النكتة ذاكرتى أبدا: مناحم بيجين يسير فى طريق مظلم مرتديا الجاكيت والكرافات، لكنه لايرتدى بنطلونه، وعلى وجهه علامات دهشة فائقة، بينما يحمل أنور السادات بنطلونا على احدى يديه مكتوب عليه كلمة"سيناء" بوضوح. السادات يبدو كلص محترف كما يشير اليه ملبسه وكذا نظرات عينيه المتوجسة وخطواته الحريصة المتسللة. بيجين يقول وهو نصف عار مشيرا الى السادات:

- أنا لاأعرف كيف يستطيع هذا الرجل دائما أن يقنعنى بأى شىء !!

أنا أيضا لا أعرف كيف استطاعت لبنى أن تقنعنى بكل كلمة قالتها وبكل فكرة عبرت لى عن ايمانها بها. حكيت لها هذه النكتة مستبدلا ال"تى شيرت" بالبنطلون إذ استحيت أن أصف لها نصف بيجين السفلى العارى. قلت لها ان السادات كان يحمل على يده القميص الخارجى لبيجين الذى كان يسير بفانلته الداخلية فقط والكرافات مربوطة حول عنقه العارى.

كنت أراقب سلوكها وتصرفاتها البسيطة والعادية وهى بصحبتى، وكنت ألقى عليها العديد من الأسئلة المحرجة عن شخصها وأسرتها حتى أرسم ملامح عامة لشخصيتها المحيرة قدر استطاعتى. لم تكن تشعر بأدنى حرج وهى تجيب عن تساؤلاتى كافة بصدق ووضوح وصراحة، تسببوا جميعا فى زيادة دهشتى من هذه الانسانة الواثقة من نفسها المعتزة بأسلوبها فى الحياة، والمتجاهلة تماما لتخلف المجتمع الذى يحلو لأفراده أن يدسوا أنوفهم فى حياة الناس الخاصة. تقول انه لو كان هذا المجتمع يؤمن بالصداقة البريئة بين الرجل والمرأة لما كانت هناك مشكلة، وأننا لو كنا نعيش فى مجتمع غربى متقدم لما تدخل أحد فى شأننا. كان من المنطقى أن أرى فيها إنسانة مغرورة بنفسها، فهى جميلة وجامعية وكاتبة مبدعة وتدير أسرة مكونة من زوج وابن وابنة تتخذهما صديقين لها. لديها كل ما يدفعها الى الغرور، لكنها لم تكن كذلك فالغرور شىء والثقة بالنفس شىء آخر ، حتى لو كانت تفصل بينهما شعرة دقيقة.

هكذا كانت قناعتى ، وربما كنت فى الحقيقة مخطئا. تحسبا لذلك قررت الأخذ بمذهب بعض الفلاسفة الذين يرون أن الوصول الى السعادة يتم عن طريق إرجاء الحكم وتجنب مشقة اتخاذ القرارات الحاسمة والمواقف الفاصلة ، وذلك دون أن أغفل إنذار بيدبا الفيلسوف الهندى فى قوله:"يانفس لا تغترى بصحبة أحبائك ولا تحرصى على ذلك كل الحرص، فإن صحبتهم على ما فيها من السرور كثيرة المؤونة وعاقبتها الفراق."

وانطلقت روحى الحبيسة الى خارج أسوار الزمان والمكان وراحت تهيم فى ترانيم العشق الخالدة الى أجل غير مسمى... وتواصل "الشات" بيننا:

- صباح الحب يالبنى

- صباح أجمل أيام عمرى
- ربنا يصبرك على دماغى
- ربنا يحمى لى القلب الكبير الذى يضم دنياى
- أعتذر عن عدم حضور الندوة حول مسلسلك الأخير. كنت مرهقا. هل كانت ناجحة؟
- كانت رائعة ولم ينقصها الا وجودك فأنت بهجة عمرى
- يجب أن نعترف أننا لصان يسرقان السعادة من الزمن
- هذا غير صحيح، فكنز سعادتنا كان ضائعا ونحن عثرنا عليه بعد أن ظللنا لعشرات الأعوام روحين ملتقيتين دون لقاء، كما أن الزمن يتيح لنا هذه السعادة فما الحاجة الى سرقتها منه؟
- أكون مكابرا لو لم أعترف لك أنك جعلت حياتى أكثر جمالا وحيوية وإشراقا، رغم تحفظاتى المعلنة والتى تخص زوجك وزوجتى

حين لا يعجبها كلامى تصمت ثم تغير مجرى الحديث. تقول:

- أنا حين أقرأ رسائلك على الشات أجد نفسى مشحونة بطاقة إيجابية فوق الوصف. ربنا يخليك لى يارب
- هل انتهيت من قراءة مجموعة"رحيق الروح" القصصية؟
- نعم انها رائعة. أمتعتنى بعواصفها العاطفية. يبدو أنك اخترتها لى لأن بها الكثير من التجارب الشبيهة بالتجارب التى مررت بها وحكيتها لى.
- هذا صحيح ولكن بماذا خرجت من هذه التجارب جميعا؟
- تأكدت من أنه ما من واحدة من النساء اللاتى عرفتهن كانت تستحقك. أنا وحدى التى تستحق شوقى الراهب. لذلك شاءت الأقدار أن تجوب البحار والمحيطات بسفينة حبك تائها مغتربا، حتى عثرت فى النهاية على مرساى الذى أراد لنا الله أن نلتقى عنده، وفى هذا التوقيت بعينه ، ليس قبله أو بعده. كانت وديعتنا عمرا مسروقا أدمى غيابها أفئدتنا سنينا طوال.. أما آن لنا أن نستردها؟.أخبرنى بالله عليك: هل قالت لك احداهن يوما إنك جميل ، وإن وجهك يشبه القمر السابح بين نجوم الليل التى تتراقص من حولك لتشاطرك البهجة والسرور؟
- لا لم يحدث. هه. أنت وحدك التى تسقطين علىّ كل الصفات الجميلة بعينيك المحبتين، وأنا فى حقيقة الأمر ملىء بالعيوب والنقائص الخافية عنك
- بربك لاتقل هذا الكلام عن نفسك. يمكنك قوله فقط لمن تخشى منه الحسد. إنى أستحلفك بذمتك: هل يستطيع القمر الذى فى السماء أن يبتسم مثل ابتسامتك هذه؟

كانت قد فاجأتنى أثناء ضحكى ونحن جالسين فى لاكورتا على الشاطىء والتقطت لى صورة بكاميرا الموبايل. بالفعل كانت الصورة ملفتة كلها شباب وحيوية وسعادة وبهجة وانطلاق. قلت:

- خلاص. مادمت تريننى جميلا فأنا جميل. ماذا أقول اذن عن جمالك؟
- الواقع أنه حتى ملامحنا تكاد تكون متطابقة مثل تطابق أفكارنا وميولنا تماما

شردت أفكر فى أمور غريبة تحدث بيننا. أكثر من مرة تضع يدها على رقم هاتفى بينما يكون اصبعى فى نفس اللحظة موضوعا بهاتفى على رقمها كى أطلبها فى ذات الوقت الذى تطلبنى فيه. أكثر من مرة نتكلم عن أغنية نحبها فنسمعها تذاع فى نفس الوقت. الطبيب الذى يعالجنى من القولون عيادته فى نفس العمارة التى تسكن بها. أمها وأمى ترملتا فى عمر الشباب. أنا وهى عرفنا اليتم فى طفولتنا. أنا وهى نعشق الموسيقا والشعراء والغناء ونحب الزهور. أشياء أخرى تتطابق بيننا حتى دون أن ندرى. قلت:

- لاتبالغى يالبنى وتنتظرين منى أن أصدقك على طول الخط
- صدقنى ياشوقى. هذه ليست حالنا وحدنا. كل المحبين تتحول ملامح وجوههم لتتشابه فى النهاية.

كثيرا ما تمنيت ألا أخرج من دائرة الاستغناء التى كنت قد أحطت نفسى بها، فقد اكتفيت بسقف الطموح الذى حققته فى دنياى ، ولم أعد راغبا فى مواصلة الكدح والعناء والمنافسة فى طلب المزيد من المكاسب أيا كان نوعها.

- لقد خلقت لتفيق المغيبين بعلمك ، لا لتيأس منهم.غير معقول مثلث برمودا هذا الذى أصبحت تحصر فيه حياتك بين البيت والنادى والشاطىء. لامفر من معاودة خروجك الى الحياة. الى النور يافخرى وفخر بلادى ، بارك الله فيك.
- أحيانا أريد أن أقول لك أنك أقوى وأهم وأجمل مفاجأة فى حياتى، وأحيانا يخيل الى أنك أكبر مجنونة عاقلة التقيت بها طول عمرى. لقد أصابنى حبك بدهشة أبدية لن تموت
- صدقنى انها المرة الأولى فى حياتى التى بكيت فيها من فيض احساسى بالسعادة التى صارت تغمرنى منذ عرفتك، حتى أننى تساءلت أيعقل أن يحبنى الله الى هذه الدرجة؟

●

كلما ازداد تعلقى بها ازداد شعورى بالذنب تجاه زوجها الذى يعاملها برقة وتحضر ولا يتدخل فى حياتها العملية. هى أيضا لم تذكره لى بسوء مرة واحدة. كل ما فى الأمر أنه رجل عملى لم تعرف العواطف المتدفقة والمشاعر الرومانسية طريقها الى حياته، فهو يقدس العمل والربح فقط. هاهى تحب رجلا غيره باقتناع تام تبرره بأنها لم ولن تفعل شيئا يغضب الله. هذا الأمر يزعجنى ويشتت ملكاتى النفسية ويفسد علىّ المتعة الخالصة للشعور بالسعادة التى ينتظر أن يولدها الحب بلا شائبة أو كدر. يضاعف من حدة هذا الشعور بالذنب شعورى تجاه زوجتى بستان التى أحبتنى وأخلصت لى فى كل دقيقة من عمرها، رغم تقتيرها اللاارادى فى بذل حنانها والتعبير عما يجيش بصدرها نحوى من مشاعر سامية فياضة. اعتادت أن تكتم هذه المشاعر ولا تفصح عنها أبدا وكأنها تخشى أن ترتكب جريمة بهذا الافصاح الطبيعى. أنا الآخر أعانى من نفس الداء. كل منا يرفض فى نفسه هذا الخلل فى الآخر، لكن فى صمت وكبرياء. غير أنها لاتسمح لنفسها أبدا بما أسمح به لنفسى من السباحة فى بحور الحب والغوص فى أعماقه كيفما أشاء بحثا عن ذلك الحنان المفقود. آفة الانسان أنه ينشغل بالتفكير فيما ينقصه، أكثر من انشغاله بالتفكير فيما لديه.

أنا لست أبحث لنفسى عن مبررات لخوض غمار حب جديد مبهر، فليس للحب أسباب أو تفسيرات أو مقدمات. أكاد أتصور أحيانا أن احتياجى المتأجج الى الحب موجه الى الحب نفسه أكثر مما هو موجه الى المحبوبة.لقد سبق أن تجاهل قيس ليلى حين أقبلت عليه وهو فى حال يرثى لها بغية إنقاذه مما هو فيه. كان غافلا عنها تماما حتى أنه قال لها انه يحب ليلى ولايحب سواها، دون أن يدرى أنه يخاطب ليلى وليس أحدا سواها. من الغريب ألا تشعر لبنى بشىء مماثل من الذنب تجاه زوجتى- أو زوجها أيضا - رغم أنها تحبها وتحترمها لما عرفته عنها منى من خصال حميدة. ان حرصى على كرامة زوجها يعادله حرص مماثل من جانبها على كرامة زوجتى ولكن بشكل يخلو تماما من الشعور بالإثم أو الاعتداء على حق الآخر، لثقتها التامة فى أنها لاتنوى السماح لنفسها أو لى بتجاوز حدود الروحانية لحبنا الطاهرالى ما هو أبعد من ذلك.

من العبث أن أستخدم نفس منطق لبنى التبريرى حين أخادع نفسى بأسباب أخرى مرجعها العاطفة التى لم أستطع مقاومتها طيلة تجاربى السابقة فى العشق والغرام مع الأخريات مادامت لم تتجاوز حدود الحلال، رغم أن الوفاء بهذا الشرط ليس مضمونا فى كل الأحوال، فالذى يحوم حول الحمى يوشك أن يقع فيه. ثم أتمادى فى الخداع بأن ألقى اللوم على نفسى معترفا بأننى انسان غير طبيعى لا أعرف الاكتفاء بحب زوجتى الطيبة، وبأننى رجل طماع لاتكفيه حياة واحدة. أم ترى هو جوع شديد متجدد الى العاطفة ربما تمتد جذوره الى الطفولة والصبا، لم تستطع بستان إشباعه. انى ألتمس لها العذر فى فشلها الذى دفع بى الى قلوب العديد من النساء. يخيل الى أحيانا أن الكثير من مواقفى فى الحياة ربما كانت قائمة على خزعبلات تم تلقينها لى منذ طفولتى فيما يتعلق بالقيم والأخلاق بطريقة خاطئة، بحيث يتعذر

على اليوم أن أعرف أين الحق وأين الحقيقة فى أمرى هذا، ان كان هناك حق أو كانت هناك حقيقة، وإن كان ضميرى الذى يعذبنى هو خوفى من الله أم خوفى من المجتمع. يالحيرتى التى جلبها الحب الى عقلى فى هذه الدنيا التى أراها يوما هى أجمل دنيا ممكنة ، ويوما آخر أسوأ دنيا ممكنة. لكن للأسف فإن أكثر الناس فهما للحق والحقيقة هم أكثرهم شكا فى تمييز الحق عن الباطل، وأنا عدو لدود للشك والتشكك. بناء على ذلك يقول المنطق أننى لا أفهم شيئا. يقول برتراند راسل فى هذا الشأن انه حتى فى حالة اعتداء المرء على قانونه العقلانى الخاص الذى عاش به ، فإنه يشك فى أن الاحساس بالإثم هو أفضل وسيلة للوصول الى أسلوب أفضل للحياة، إذ أن فى الاحساس بالإثم شيئا وضيعا ينقصه احترام الذات ، ولم يثمر فقدان احترام الذات خيرا لأى انسان قط.

●

يتناهى الى سمعى تغريد كروان هائم، فتغرد معه ورودى وتتأوه بالنشوة، ويخفق قلبى فى رقة وسكينة ، وقد تدافعت أمواج البحر فى صمت ليل غصت سماؤه بملايين النجوم المتلألئة. يسكننى شجن جميل. تغمرنى أشعة القمر الذى يداعب السحاب فتسكب على روحى عطرا ملائكى الرائحة وتعزف على أوتار قلبى لحنا خالدا.. وأتحصن بحب لبنى من خوفى من الحياة والموت معا.

- أسعد الله صباحك يافتاتى
- أوحشتنى ياغالى. صباح الخير ياموسيقا الحب ياحبيبى
- أكاد أغرق فى نعيم حبك
- وأنا أتنفس هواك مع أنسام روحك
- ما أجمل الشجرة جارتك التى تطل على شباكك. تهزها نسمات الحب المنبعثة من شرفتك. انى أغبط هذه الشجرة على جارتها الجميلة، فهى تعيش على ماء الحياة المتدفق من وجنتيها، وعلى ارتعاشات الحنان الناطقة بها نبراتها المعسولة. انى أرى الشجرة تهمس لحبيبتى بحبها لها وعشقها لجمال روحها، ومع كل اهتزازة تقول لها أحبك، ومع كل نسمة تقول لها أحبك أحبك أحبك.
- كم أحبك أيها الجميل
- هيا ادخلى عباءتى وعيشى بداخلها جنونك وجنونى معا
- سأدخلها ولكن اعلم أننى فتحت فى صدرى مهدا لنعاسك
- أنت فرحة عمرى
- وأنت عمرى كله. لقد استرجعت سنواتى الماضية التى كانت قد تجاوزت العشرين عاما حين التقينا فى الأقصر وأنت ساكن فى روحى حتى التقيتك فى المرة الثانية وجها لوجه، فعرفت أن الله يحبنى أكثر مما أحبه.
- أنت معجزتى التى لم ولن تتكرر. اننى مع نشوة الشراب والتحرر من الضوابط العقلية الصارمة أشعر أننى مسكون بعشقك وبأننى أقرب الى قلبك فأحبك أكثر وأكثر.
- ولماذا تفصل العقل عن القلب فى الحب ومثلك يملك من صفاء الروح مايجعل الدنيا كلها ملكا لك، تعيش على أرضها ملكا وتحلق فى سمائها ملاكا
- هل قرأت كتابى عن الحضارة المصرية؟
- لاتقل قرأته بل قل التهمته كجوعانة وجدت نفسها أمام وليمة دسمة من العلم والمعرفة. الله عليك ياشوقى. أنت نوع من نبات نادر يفح بعطر زهور خرافية رائحتها كفاكهة الملكوت. أنت القلب الذى عشقته. حنون ومشاكس.هادىء ومغامر.لديك حكمة العلماء وطيش الشباب.. أنت عسل يا"كوكى"!
- تمهلى قليلا يافاتنتى فقد أذوب منك وأنت تدللينى هكذا كطفل.."كوكى"؟!!
- نعم يا كوكى.أنا عرفت أنواعا كثيرة من الورود، أما ورودك فجديدة علىّ وكثيرة أيضا، وأمنيتى أن أظل أرعاها وأرويها بسلاف عمرى

●

بغض النظر عن جماله وروعته، وعن كل ما يحمله من تناقضات، الا أنه يعد أغرب حدث فى حياتى، ولطالما راجعت نفسى هل سأترك هذه العلاقة الجميلة تنمو وتتطور كأى كائن حى، ولكن تحت سيطرتنا قدر المستطاع ، مع احتمال أن تعجز تلك السيطرة عن مجابهة مجهول غامض من مجاهيل قدرية لا نعلمها ، أم أنه من المحتم علينا أن نبذل المستحيل لنقف بالعلاقة عند هذا الحد الجميل النظيف دون أدنى تطور أو نمو؟.. دائما تأتينى الاجابة بأن هذه التجربة الوجودية ينبغى أن تعاش مهما كان مستقبلها، ولنتركها تعيش كيفما يشاء لها القدر ويسمح بها الزمن ، فالحب مسئولية ضريبتها فادحة ، لامفر من تسديدها على أية حال.لقد عشت مع زوجتى بستان تجربة حب عاصفة شهدتها كليتا الهندسة والآداب. كانت هذه القصة حديث الجميع وموضع غبطتهم وإعجابهم بل وحسدهم فى كثير من الأحيان. لكن هل يمكن لأحد منهم جميعا أن يتصور ما انتهت اليه قصة حبنا اليوم وقد أصبح كل منا يقبع فى غرفة منفصلة هى بمثابة صومعته التى يعيش فيها سعيدا راضيا ولكن وحيدا وعن قبول واقتناع دون جفوة أو خلاف. هى مستغرقة فى متابعة الأخبار السياسية والقنوات الدينية ، وأنا مستغرق فى سماع الموسيقا والأغانى. ماصرنا اليه اليوم لاذنب لأحدنا فيه ، إن جاز أن نراه شيئا بحاجة الى التأمل والدهشة، وإنما أرى أنه فعل الزمن حين يرمى ضحاياه بالتقادم والسكون ، ويسرق من عيونهم بريق الفرحة الغافلة، مستبدلا بها نظرة غامضة مستسلمة منطفئة صنعتها التجارب وأنهكها تعاقب الأيام وتناوب الأحداث.. "ترى ماذا سيفعل الزمان بنا أنا ولبنى؟"..

انطفأ البريق بحق، لكن بعدا آخر حل محله، ينطوى على فهم بعض أسرار الحياة وإدراك معادن الناس والتامل فى طباعهم وسلوكهم وتقلبهم من حال الى حال. الصدمات التى تلقيناها معا أحيانا وفرادى فى بعض الأحيان حولتنا الى مايشبه الأصنام الجامدة الخالية من الروح والتى لاتصلح حتى لعبادة الكفار، رغم أن قلبينا عامران بالحب تجاه بعضنا البعض وتجاه الانسانية جمعاء. أحيانا أشعر أنها تخفى فى نظراتها لوما لى ، لا أعرف سببه المؤكد، لكنها على وجه اليقين تعرفه وتكتمه. أحيانا أراها لاتعطينى حقى فى التدليل والمداعبة كما تفعل معظم النساء. علمتها أيامها وسنواتها أن تكون جادة أكثر مما ينبغى ، صارمة أكثر مما يجب، رغم جمالها ورقتها اللذان لم يفارقاها حتى اليوم. هكذا أصبح شكل حبنا الآن ، وأنا لست أرفضه بل أقبله على علاته وأتعايش معه. كل مايحدث بيننا من تلاق هو أن يذهب أحدنا الى غرفة الآخر ليسأل عن شىء ما ، وربما ليطمئن عليه، ثم يعود سعيدا الى شرنقته. تشبع كل منا بالآخر ومنه ، وتزوجت ابنتينا لؤلؤة وزهور ورحلتا عن البيت تاركتين به فراغا لايسد. أصبح شراء الطعام وإعداده هو نشاط بستان الوحيد، غير السهر حتى موعد صلاة الفجر لمتابعة الأخبار السياسية والأفلام القديمة، ثم النوم حتى الظهر بعد تبادل الحديث التليفونى بالساعات مع ابنتيها حيث يفتح الثلاثة سماعات الحديث"speakers " بحيث يسمعن بعضهن البعض فى نفس الوقت وكانهن موجودات معا فى نفس الغرفة بالفعل.

عندما تحضر احداهما لزيارتنا تعم الفرحة البيت وتدب فيه الحركة وتعد الولائم الفاخرة والمأكولات الشهية المحببة. أنا أقرأ كثيرا وأجلس بغرفة مكتبى الى الكمبيوتر لأكتب العمل المنشغل به، وفى العاشرة مساء آخذ عودى وأتوجه الى صومعتى لأعزف على أغنية أم كلثوم التى تذاع يوميا فى هذا الموعد بإحدى القنوات الخليجية. المثير فى الأمر أن بستان لم تعد تهتم كثيرا بعلاقات الصداقة العديدة التى صارت تربطنى بالعديد من السيدات فى مجالات ثقافية مختلفة ، وأنا الذى قررت مرارا من قبل أن أبتعد عنهن. ربما كانت تخفى رفضا قاطعا لما يحدث ولكن فى كبرياء صامت. قد يكون من الظلم أن أرجع اليها سبب انفصالنا فى غرفتين، فهى تبرر هذا الانفصال الجسمانى بعجزها عن النوم معى بسبب شخيرى بالليل. أردت يوما ان أثير حفيظتها وأستكشف خبايا نفسها تجاه صداقاتى النسائية فسألتها:

- قولى لى بصراحة يابستان. هل تفضلين حين أكون ذاهبا فى موعد مع صديقة أن أخبرك أم أخفى عنك؟

أجابت بهدوء تام:

- سيان عندى أن تخبرنى أو تخفى عنى

كان ذلك قبل فترة اعتزال تلك العلاقات، أما اليوم فإننى أعى جيدا أن مصير حبى للبنى هو أن يظل منقسما هو الآخر الى شطرين، كل منه يعيش فى بيت مختلف مع أسرة مختلفة تماما، فحبنا لا ولن يتجاوز روحينا ولن يستمع يوما الى نداء الجسد. سيظل كل جسد فى مكانه البعيد عن الآخر حتى نهاية العمر. هكذا تعاهدنا وهكذا ظلت رغبتنا المتبادلة حرصا على بقاء هذا الحب العفيف ورعايته.

توصينى لبنى من حين لآخر بالتكتم على قصة حبنا الوليد وعدم الإفشاء بها لمخلوق حرصا على دوامها وخوفا عليها من الحسد الذى تؤمن به بشدة. والحق اننى لم أعد قادرا على كتمان سر هذا الحب وكبح جماح نفسى وتحمل الموجات العاطفية والنفسية التى تجتاحنى بلا رحمة، وإنما أجد نفسى مدفوعا الى البوح بحبى والتعبير عن سعادتى به كما يقول قيس عن حبه لليلى:

"وكيف يطيق الصبّ كتمان سره / وهل يكتم الوجد امرؤ وهو مغرم"

انه محيط هائج لا شاطىء له، فكيف لى أن أسبح فيه بأمان وقد سقط على أم رأسى كما يسقط القضاء والقدر. اننى أشعر بلذة عارمة وأنا أردد اسم لبنى على مسامع خاصتى من المحبين وأفصح لهم عما بيننا من عاطفة أسطورية رائعة لاقبل لى بمقاومتها، فهى جامحة كالسيل، يتضاءل أمامها خوفى من المجتمع الذى لا ولن يعترف بها، وحتى إن صدقها فإنه سيسىء الظن بها فى أغلب الأحوال. سينظر اليها باعتبارها حالة خيانة لا حالة عشق.

- **صباح الخير. أمتعنى حوارك المكتوب عن العلاقة بين الحبيبين فى مسلسلك الرائع. أبهرنى أسلوبك وأسعدنى.يا ألله. ما أجملك يالبنى.**
- **بل ما أجملك أنت يامن خلقت لى قمرا ليس كالأقمار ، أعشق نوره حلما ورديا فى كل زمان ومكان. ما أروعك يا الهى. يا الهى ما أروعك.**
- **ما نكتبه الآن لبعضنا على صفحات الانترنت موسيقا لا كلمات**
- **ياحبيبى ان قصتنا أسطورة. يجب أن تكون على يقين من ذلك. انها سر من أسرار الله فى كونه العظيم. من المستحيل وصفها أو بيانها أو الوصول الى كنهها.**
- **اعلمى يا حبيبتى أننى ألغيت جسدك تماما من قاموس مشاعرى وأحاسيسى وأخيلتى. تركته لصاحبه بالعرف والقانون والاختيار، واستبقيت لنفسى روحك. تركت الفانى واستبقيت الباقى.هجرت الزائل واخترت الخالد. وفى كل الأحوال لم يكن لأحدنا يد فى هذا السهم الذى أصاب قلبينا فى طلقة قدرية طائشة.**
- **قرأت هذا فى عينيك قبل أن أقرأه فى أوراقك. رسالتك اختصرت معانى سنين عشتها ومازلت أعيشها، ولايعلم الا الله ماهو القادم لنا. كلماتك توغلت فى عمق أعماق كل خلية بجسدى فجعلتنى أتوحد مع الزمن حينا وأفر منه حينا آخر. انها عاصفة روح ، وأنت كما أنت وكما كنت ، فرح الماضى وأمل المستقبل.**

لبنى فى الخامسة والأربعين وأنا تجاوزت السبعين. أتذكر الآن حين أحببت ماريا فى الخمسين. تجتاحنى فرحة كالسيل تنشلنى من أعماق الزمن الى عالم من النور والانشراح والبهجة. أشعر بالرغبة فى الطيران. أهيم فى حب كل الناس والحيوانات والحوائط والطيور والأنهار والحشرات والبحار والجبال والأشجار والورود والعصافير. البسمة تضىء وجهى وتسرى فى دمى. كل خلية من خلايا جسدى تضحك. كل نبضة فى القلب تسكب الضياء والمحبة على الكون ومخلوقاته وخالقها. أريد أن أخلع ملابسى وأجرى فى الشوارع عاريا حافيا أصيح أيها الناس اننى فرحان. فرحان بهذا الحب السامى العفيف بكل معانيه وصوره الانسانية وبواعثه النبيلة وتجرده عن الهوى والغاية الآثمة ونوازع الامتلاك والغيرة. ولم لا أفرح بحب

طاهر الروح والفكر يفيض رقة ولطفا ولينا وسماحة، ومهما تأججت عواطفه واشتعلت فإن الحياء يظل رداؤه الى الأبد.

لكن الخمسين شيء والسبعين شيء آخر. فيا أيها العشق الذى جاءنى متأخرا عن موعده سنين طويلة، لاتجرفنى بربك الى سراديب الهوس ودهاليز الجنون.

●

- ما أجمل قلب كالزهر. نوره فواح بالعطر. نشيده أفراح ربيع وأنسامه تغريدة عشق
- شكرا يافلّتى الجميلة على كلماتك الشاعرية الساحرة
- أنا التى أشكر ساعة صفو من القدر هدتنى الى الابحار فى روضك

تمدنى لبنى من حين لآخر بشحنات إيجابية جبارة تدفعنى الى الانغماس فى الحياة والاقبال عليها باستمتاع ومحبة. أصبحت لبنى ملهمتى وحافزتى على العمل والانجاز دون أن تدرى، وربما دون أن أدرى أنا الآخر. مجرد رؤيتها وسماع صوتها يثيران فى وعيى ولا وعيى كثيرا مما كمن فى دهاليز نفسى الممعنة فى الغيب والغموض، بحيث أصبح قادرا على بعث أفكارى من مناطقها البرزخية التائهة الى مناطق انسانية أكثر بريقا وتوهجا وجمالا. جمال لبنى كالحلم أو الرؤيا. لا أراه فى عينيها بقدر ما أراه فى النور المنبعث منهما. لا فى كرز شفتيها وإنما فى حلاوة الرحيق المسكر السائل منهما. لا فى عنقها الأبيض العاجى وإنما فى ميلته كميلة رقبة فينوس. جمالها قصيدة شعر رومانسى.مقطوعة موسيقية ساحرة. لوحة فنية مكتملة البهاء. غيرت كل شيء فى حياتى .ثقتى بنفسى تزايدت. تحول تواضعى من ضعف الى قوة. ايمانها الشديد بى ضاعف من احساسى بوجودى وبأهميته. ابتسامتى لم تعد تفارق وجهى. ملبسى صار أكثر تأنقا. أحببت الروائح والعطور بعد أن كنت لا أعبأ بها. عشقى للقراءة والتأليف تضاعف. محبتى للخالق زادت وتنوعت منابعها.عطفى على الفقير لم يعد يقف عند حد. لبنى اعترضت حياتى فى تلك المرحلة لتقول لى أكمل ولا تتكاسل، فلديك الجديد والمزيد من انتاج الفكر ومداعبة التاريخ والفن . عش حتى اللحظة الأخيرة من حياتك ولاتفكر فى الماضى أو المستقبل حتى لاتصير أوقاتك الآنيّة الى فوات.

رغم هذا الفيض المتدفق من أنهار السعادة التى صارت تغمر حياتى بقلب لبنى وروحها وحيويتها ونبرات صوتها العذب وصفاء ضحكاتها البهيجة وحسن نواياها وحرصها على إرضائى، فإننى لم أستطع أن أبرأ حتى هذه اللحظة من شعور كاسح بالذنب يجتاحنى من حين لآخر وبلا سبب مباشر ملموس لتفجيره. يتهمنى ضميرى بالخيانة الصريحة، فما بيننا ليس مجرد صداقة بريئة بين رجل وامرأة، وإنما هى علاقة حب جارف – يا ناس – يستولى على مشاعرنا ولا أجرؤ بكل ما أوتيت من دهاء على أن أعترف به لزوجتى الطيبة المسالمة. ولا تجرؤ لبنى أيضا بكل ما أوتيت من حصافة وجرأة- تفوق جرأتى كثيرا – أن تصرح به لزوجها.

ليس من عادتى أن أستشير أحدا فى شأن من شئون دينى، فلدى مايكفى من المراجع الدينية فضلا عن المواقع الالكترونية المختصة بالدين. لكن لى صديقا أستاذا بجامعة الأزهر يتسم بالاستنارة والاعتدال والمرونة فى وجهات نظره الدينية فى مجال المعاملات الانسانية، التقيت به بمحض صدفة فسألته عن رأى الدين من وجهة نظره فى مسألتى أنا ولبنى، علنى أجد حائطا من الأمان أرتكن اليه. توقعت منه ألا تعارض بين الدين والحب مادام عفيفا لايتجاوز حدود الله. لكن اجابته كانت صاعقة لى ، إذ قال اننا نرتكب خطأ صريحا ضد فطرتنا الانسانية السوية، بغض النظر عما قد ينتظرنا من عقاب فى الآخرة لو كان الله سيعاقبنا على هذا الحب. سألنى على استحياء كيف تنام لبنى بين أحضان رجل وقد تعرت أمامه تماما، ثم تمنح قلبها لك وحدك حسبما تقول؟.. هذه التجزئة التعسفية والازدواجية الفاقعة تتناقض تماما مع طبيعة البشر الانسانية كما فطرها الله عليها، وتتعداها الى سلوك مريب مريض ، لن يقود فى النهاية الا الى الشهوة البهيمية مهما كانت البداية بريئة.

ندمت بالطبع على هذه الاستشارة المزعجة التى تخليت فيها عن ثقافتى وسلمت بموجبها عقلى لغيرى. عدت الى مراجعى أبحث فيها عن مخرج لمعضلتى المؤرقة، فأنا على يقين من

أن الحب والايمان لاينفصلان، وأن الله ذاته محبة، وأننا حين نحب نصبح جزءا من هذه الذات، ولتسقط الحيرة عديمة القلب.

حين تهاجمنى تلك الحالة فإنها تفسد علىّ اروع المشاعر وأجملها وتحيلنى الى صراع نفسى جهنمى يعذب وجدانى ويشقى عقلى وفؤادى. ولأننى متمسك بآخر تجاربى الوجودية حتى الموت – لست أدرى لماذا – فإننى أظل أبحث عن تفسيرات وتبريرات أريح بها ضميرى المكدود راحة وقتية، حتى تفارقنى تلك الحالة ولو الى أجل مسمى. ثم إننى أتصور أحيانا أنه ربما تكون هناك كارثة عتية فى علاقتها العاطفية بزوجها لكنها تخفيها عنى من باب التأدب وربما من باب الكبرياء أو حتى من باب الحياء. أقول لنفسى لاشأن لك يارجل بعلاقتها الحميمية بزوجها، فتلك احتياجات طبيعية غريزية كالطعام والشراب والنوم.، أنت أيضا تمارسها كحقوق مشروعة من حقها أن تمارسها هى الأخرى بحرية كاملة فى انفصال تام عنك رغم حبها لك وتعلقها بك. وإذا كنت تتشدق بالروحانية التى يقوم عليها حبك هذا، فلماذا ذهب خيالك من الأصل الى فراشها وتركت الغيرة المجنونة تنهش قلبك كرجل شرقى غبى يتناسى أنها انسانة لها ما للرجل من حقوق، وما ينطبق عليه بالضرورة ينطبق عليها.انك بهذا التجاوز قد ارتكبت معصية قاتلة باقتحام قدس أقداسها لتفتش بدون وجه حق فيما حلله الله لها وحرمه عليك. أكاد أخاطب نفسى بصوت مسموع وكأننى آخذ على نفسى عهدا أمام الله ، مكررا ما قلته لها فى حوارات الشات المسجلة على صفحات واقعنا الافتراضى الحائر:"ألغيت جسدك تماما من قاموس مشاعرى وأحاسيسى وأخيلتى. تركت الفانى واستبقيت الباقى. هجرت الزائل واخترت الخالد. فضلت أن أكون مسيرا فيما لا أعلم على أن أكون مخيرا فيما أعلم"..حينئذ أستطيع الحصول على هدنة موقوتة من ذلك الهاجس المرعب الذى يثقل كاهلى بالشعور بالإثم، لكنى لا ألبث أن أتعرض من جديد يوما بعد يوم لنفس الحالة ولا أستطيع الخلاص منها. قلت لها:

- **ان متعتى بحبك تنطوى على عذاب كبير**

قالت بنبرة الحكماء:

- **ما من لذة فى الدنيا إلا ويصاحبها عناء**
- **ألا تستطيعين مساعدتى لأجد حلاّ لتلك المعضلة التى أعانى منها وحدى، وأتعجب أنها لا تطالك أبدا**
- **تخطىء لو اعتقدت ذلك، فأنا أيضا معذبة ولكن ليس بتلك الصورة القاتلة. المسألة أن قدرتى على تجاوز العذاب لأنعم بحبك أقوى من قدرتك على ذلك**
- **لماذا لاتمنحنا الحياة لذة خالصة بلا ألم، ومتعة صافية بلا عذاب؟**
- **أنت أستاذى، ولا تنتظر من تلميذة لمفكر مثلك أن تجيب عن سؤال صعب كهذا**
- **اننى أصبّر نفسى بأن أتذكر دائما أننا يجب أن ندفع رغما عنا ضريبة هذا الحب مثلما ندفع ضرائب عديدة أخرى فى الحياة لقاء أشياء نحتاج اليها وتسعدنا.**
- **أتمنى من الله أن تستريح لهذا الخاطر وتسكن نفسك اليه – مادام يريحك – حتى تكف عن تعذيبى أنا الأخرى لأجلك.. ولا تنس أن للحب نارا تصهرنا كى تجعلنا جديرين به ، قادرين على اجتياز مسالكه الوعرة لننعم بتصفيته لنفوسنا وتنقيته لقلوبنا ، حينئذ ننعم بالفردوس الالهى على الأرض ، فيباركنا الرب ويدعمنا ويساندنا.**

●

الزمـــــــــــن

****

شوقى يخاف منى ولايثق بى . هو دائم القلق والهلع من المستقبل المجهول. رغم ما بطبعه من حرص وتحفظ شديدين إلا أن هناك جانبا خفيا عبثيا زورباويا فى شخصه يتسم بالجنون وحب المغامرة وعشق الحياة ، ويود لو تتاح له الفرصة لينطلق محلقا فى الآفاق بلا حدود. اقتحمت لبنى حياته من هذا المدخل الخفى الذى اكتشفته بعبقريتها العاطفية الفذة.

لبنى على عكس شوقى ، لديها قناعة كاملة بمساندتى لحبها وطمأنينة كبيرة لموقفى من هذا الحب النقى البرىء. رغم ذلك يظل السؤال المحير المعذب مسلطا على فكرهما وخيالهما:

- ترى ماذا سيفعل الزمن بنا ؟؟

وددت لو أطمئنهما وأبعث السكينة فى قلبيهما وأبعد عن طريقهما الخوف والقلق، فلقد عاهدت نفسى ألا يتأثر حبهما بمرورى وسريانى فى حياتهما وعمريهما، بل سوف أبذل ما بوسعى ليظل هذا الحب مديدا شديدا متألقا متوهجا لاينطفىء لهيبه أبدا ولا تخمد جذوته. وكيف لا أفعل ذلك وأنا محور الكون والحياة والمحرك الخفى لمشاعرهما وتقلباتهما النفسية والجسدية . كثيرا ما تحاورا معا بشأنى فكان الثبات دائما عند لبنى والحيرة والتذبذب عند شوقى. ليتهما يدركان أننى أشبه بحبل وهمى يتجاذب به قلباهما الحزن والفرح، وأننى مفهوم كونى مجرد لايرى ولا يسمع ولا يشم ولا يلمس، وإنما يمكنهما إدراكى ، ولسوف يدركانى بالفعل من خلال ما سيقع لهما من أحداث.

انهما يعرفان تماما أننى السبب الجوهرى فى المشاعر الراقية الحانية التى تنتابهما دون باعث حسى ملموس، وما من شك فى أن أحدهما لن يستطيع أن يحصل على الخبرة أو المعرفة الانسانية بحبيبه الا من خلال تتابع خطواتى الزمانية والتغيرات التى تشكل سيرتى. ان تبدلهما أو تغيرهما لا يمكن أن يتم الا من خلالى ووفق معطياتى. وإن يملك أحدهما أو كلاهما أحاسيس متناقضة ومتضاربة فى بعض الأحيان طبقا لتقلباتى فى بعدى الطبيعى الطولى أو فى بعدى النفسى الدائرى، فهذا قدرهما ولن يملكا منه انفلاتا.

لبنى تندفع بقوة تجاه شوقى . شوقى لايستطيع أن يتخلى عن ذهوله الدائم وعدم تصديقه لما يحدث. لبنى أكثر واقعية وأعمق رومانسية من شوقى. شوقى حالم متردد أرهقه الفكر. لبنى صاحبة ذهن مرتب وعقل صاف. ان الله قد خلقها لتكمل كل ما فى شوقى من نقصان، مثلما خلقه ليكمل كل ما بلبنى من نقصان. سعادتى بالحوارات التى تدور بينهما على الشات سعادة لاتوصف. أرى فى حبهما الطاهر أسطورة لا يمكن أن تحدث فى هذا العصر المادى الالكترونى الجامح فى سرعته والقاسى فى ماديته إلا بموافقتى ودعمى ومباركتى.نعم انها أسطورة أن أراهما يقطفان زهور العشق معا وينشدان مع البلابل تغاريد الشباب فتنصت لهما الطبيعة وتعزف لهما ألحانا بهيجة تمتد أنغامها حتى تبلغ السماء، وتتسع حتى تغمر الكون وتنتشى لها قلوب كل المحبين. من أجل هذا ركعت بين يدى فينوس متضرعا أناجيها بصدق ورجاء:" سلام لك يافينوس ياربة العشق والجمال . أتوسل بك وألتمس منك البركات أن تديمى على لبنى وشوقى هذا الحب الذى أرعاه وأتمنى ألا يذبل أبدا ليصير مرجعا وموعظة ومثلا لكل المحبين. لاترفضى دعائى ياربة الحب الطاهر والهوى البرىء وجابرة القلوب الكسيرة والنفوس الحائرة".

طفولة شوقى حاضرة فى ذاكرتى منذ كان جنينا فى بطن أمه التى ترملت وهى فى عنفوان شبابها. كبر الوليد وصار صبيا جميلا تتنافس الفتيات على اللعب معه. لم تكن طفولته سعيدة على عكس طفولة لبنى المدللة منذ نشأتها. شب شوقى حريصا دؤوبا متوجسا . كافح باجتهاد حتى أصبح واحدا من أسماء المفكرين المعدودين فى مصر، وشبت لبنى جريئة مقدامة على الحياة باستمتاع وتحرر حتى أصبحت كاتبة مشهورة. الاثنان متوافقان فى حبهما لأشياء كثيرة

مشتركة فيما بينهما وعلى رأسها الأغانى والموسيقا. ليس من العدل أن أفرق بينهما لسبب من الأسباب، بل إن العدل بعينه هو أن أحرس هذا الحب وأرعاه.

يتعذب شوقى وكأنه يشوى فى نار حقيقية مشتعلة متأججة عندما يذهب به خياله الى غرفة نوم لبنى حيث تمنح جسدها عن رضا وقناعة لرجل غيره هو فى حقيقة الأمر زوجها وصاحب الحق الأوحد فى هذا الجسد. أنبهه الى أنه أيضا ينام مع زوجته فى الوقت الذى يحب فيه لبنى، لكن ذلك لايعذب لبنى ولا يشغل بالها كما هو واضح من سلوكها وقولها وفعلها. لبنى إذن أكثر صدقا مع نفسها منك إذ تعاهدتما من قبل على أن يكون حبكما عذريا لايقرب من غواية الجسد، لذلك لم تشعر بالغيرة من بستان حين يجمعكما الفراش ، لأن الجسد غير وارد فى فكرها، أما أنت فمتناقض مع نفسك.

أسأله كيف تؤرقه هذه المسألة وتعذبه وهو الذى لم يفكر مرة واحدة حتى فى تقبيلها على مدى اللقاءات العديدة التى جمعت بينهما. كيف يحرم على نفسه القبلة بكامل ارادته بينما يشعر بالغيرة القاتلة من زوج يمارس حقه المشروع مع زوجته. لقد طرح العاشقان على بعضهما فكرة أن تتعارف العائلتان فى جو طبيعى ، بتدبير وسيلة اجتماعية لذلك، حتى لايشعر أحدهما بذنب أو بإثم، لكن تبين لهما استحالة أن يتم مثل هذا التعارف الذى ترجى منه صداقة بريئة معلنة للطرفين.ذلك أن اللقاء الثنائى المنفرد بينهما سيعد بمثابة خيانة صريحة لهذه الصداقة، فكيف تكون العائلتان صديقتين فى العلن بينما يلتقى قطباهما فى السر؟. ان هذه الصداقة المصطنعة ستحرم عليهما لقاءات الغرام تحريما أبديا. أما لو تحولت هذه الصداقة الزائفة المغرضة الى صداقة حقيقية صادقة، ففى هذا التحول حكم بالإعدام على حبهما بعد أن يصبح مستحيلا.

تماست دوامة القلق عند شوقى بمحيط إيمانه فأحدثت له خلطا مضاعفا فى مفاهيم كانت مستقرة عنده من قبل، حتى أصبح يتساءل فى حيرة صادقة عما اذا كان ظهور لبنى فى حياته وتعلقه بها بمثابة هدية من الله يسعده بها فيطير بحبها الى دنيا جميلة من الأحلام ويتسامى به الى عوالم ملكوتية عليا يحسده عليها الخلق، أم أنها ابتلاء واختبار يقيس به الله درجة إيمانه ومدى انصياعه وراء همسات الشيطان ووسوساته وغمزاته ولمزاته وإغراءاته، باعثا الدنيا فى كيان هذه المخلوقة البشوشة الوجه ذات النظرات البريئة الساحرة الواعدة بالسعادة والرضا والهناء.. أخير هى لبنى أم شر؟..أهى منحة الاله أم نقمته أم معضلته التى لاحل لها ولا مهرب منها وقد سكنت قلبه ولن تفارقه؟!

لهذه الدرجة اختلط عنده الخير بالشر فلم يعد قادرا على تمييز أحدهما من الآخر ، ولم يسعفه الإكثار من الشراب والصعلكة فى شوارع الاسكندرية وقراءة ديوان نزار قبانى ورواية زوربا اليونانى والغوص عاريا فى البحر والصياح عاليا فى الفضاء بين الأمواج المتدافعة. تساءل ذاهلا هل يعقل أن يعجز انسان عن التفرقة بين الخير والشر ولو بفطرته وحدها دون اللجوء الى العقل؟..نعم يعقل ذلك ولكن عند العشاق فقط. هؤلاء المساكين الذين سكن الأحبة قلوبهم وأرواحهم وعقولهم ، فلم يعودوا قادرين على التمييز بين النقائض أو لم يعودوا راغبين فى ذلك. انى أرثى لحال شوقى ولبنى وأسأل الله ألا يدع القدر يعبث بمصيرهما وأن يتركهما لحالهما على ما هما عليه من سعادة وإن كانت مغموسة فى القلق ، وفرحة وإن كانت مقرونة بالألم. كفاهما انهما قد فتحا صدريهما بكل شجاعة ليتلقيا عن رضا وقناعة سهام كيوبيد الذهبية غير عابئين بشىء فى هذه الحياة.

لقد تبين لى بتعاقب أيامى أن كلا منهما يخدع نفسه بمبررات يعلم أنها قد تكون غير حقيقية ، فى سبيل ألا يضيع هذا الحب من بين يديه. حتى لبنى التى برأت من عذاب الوجدان الى حد كبير ، فهى تغالط نفسها وتغالط زوجها وتغالط حبيبها بادعائها أنها تحب صفوت بصورة أو بأخرى، وإلا ما استطاعت أن تمنحه جسدها، فالظواهر التى مررت عليها ومرت علىّ أفصحت لى عن مشاعر خفية غير طيبة تكنها لبنى لصفوت، لكنها لاتعلنها أو تشير اليها، كما أنها ليست سعيدة بتلك العلاقة الحميمية التى يغار منها شوقى، فهى فى حقيقة الأمر تمارسها من

باب تأدية الواجب وإرضاء الزوج والله، لكنها لاتشعر فى تلك الممارسة – رغم ندرة حدوثها - بالحد الطبيعى من المتعة.

هؤلاء الناس الذين يولدون ثم يموتون قبل أن يذوقوا طعم الحياة الحقيقية ، لايمكنهم أن يدركوا كم هو مؤلم للمرأة أن تقف نفسها بين رجل تحبه بإرادة السماء وآخر تنام معه بشريعة الأرض. هى مأساة قاتلة مكتوبة بدماء المرأة ودموعها ، لايمكن أن يدركها الرجل ، وإن أدركها أنزل على المرأة من غضبه وحقده مالا تطيقه ولا تستحقه. انه لايمكن أن يدرك قسوة تلك الليالى السوداء التى تعانيها ضلوع كل امرأة تجد جسدها مقيدا بجسد زوج لاتحبه.

وشوقى كذك يخفى ولايعلن مللله من بستان بكبريائها الزائف وحبسها مشاعرها فى قمقم مغلق بأعماق صدرها وكأنها تستكثر عليه حبها. رغم ذلك فإنى أشهد أمام نفسى بتواطئى مع هذين العاشقين بتمهيد الطريق أمامهما وإزالة العقبات التى كان من الطبيعى أن يواجهانها، وذلك محبة فيهما من جهة وفى الحب ذاته من جهة أخرى. أما ماعدا ذلك فليس من شأنى أن أخوض فيه، فتلك أفاعيل القدر وأنا لاقبل لى بتحديه.

يتهمنى المتشددون بانحيازى الى باطل وبأننى عديم المبدأ، فى الوقت الذى ينعم فيه هذان العاشقان برضاى ويسبحان بحمدى. قد يفعلان هذا من باب نفاقى واتقاء شر تقلبى وغدرى وخيانتى وكل ما وصمنى به الخلق من مساوىء وعاهات، وقد يكونان من السذاجة بالقدر الذى يجعلهما فى ثقة خالصة من رضاى عنهما وتحالفى معهما بتذليل كل العقبات التى قد تحول دون استمرار حبهما الى الأبد. فى جميع الأحوال هما مخطئان من حيث نظرتهما الىّ ، لأننى أنا نفسى لم أعد واثقا مما سيكون من أمرى معهما ومن أمرهما معى ومن أمرهما مع بعضهما البعض، بعد أن بدأت الحيرة تنتابنى وأنا أمضى متعاقبا من ليل الى نهار ومن نهار الى ليل.

****

بستـــان السعدى

****

والله لقد احترت فى هذا الرجل. مازلت عاجزة عن فهمه تمام الفهم حتى يومنا هذا رغم عشرة السنين الطوال التى جمعت بيننا. لكنى أسمع هذه الأيام رنين أجراس الخطر تدق منذرة فى حياتى. لقد عاد من جديد الى عشق الأغانى والموسيقا بمثل عودته فى تجربة حبه الأخرى التى لم أتوصل الى معرفة بطلتها، لكنى عايشتها وأحسست بقوة العاطفة التى ربطت بينها وبينه آنذاك، والتى حولته الى مخلوق لو تجسد الحب فى كائن انسانى لكان هو هذا الكائن ولا أحد سواه. أتصور أنه محمل بطاقة حب عظمى تشمل الحياة والكون والخالق. كان أيامها يمارس معى الحب برقة لم أعهدها فيه من قبل. هاهى الأعراض نفسها تنتابه من جديد. الشرود الطويل.السعادة المتفجرة من عينيه.حالات الشجن المفاجئة غير القابلة للتفسير ، والتى سرعان ما تزول مثلما جاءت.الفارق الوحيد بين هذه التجربة والأخرى القديمة أنه بعيد عنى هذه المرة، فكلانا أصبح ينام فى غرفة مستقلة. يؤلمنى كثيرا ألا أنعم بأحضانه فى الليل وقرب الفجر. حاولت أن أضغط على نفسى وأتحمل شخيره لكنى لم أستطع النوم. أنهك الأرق أعصابى فعدت مضطرة الى غرفتى المنفصلة. منذ فترة امتنع عنى لا عن جفاء أو غضب، ولكن أغلب ظنى أنه لم يعد قادرا على ممارسة تلك العلاقة الحميمية لسبب أو لآخر. نحن صديقان.فاتحته فى الأمر بلا حرج. قال لى بصراحة قاتلة:

- **لم أعد راغبا فى الجنس. أشعر أننى تحررت من عبوديته**
- **هذا الكلام لايدخل دماغى. يجب أن تذهب الى الطبيب**
- **أنا أتعجب لاهتمامك المفاجىء بهذا الأمر الذى كثيرا ما أبديت زهدك فيه من قبل**
- **المهم أن نعرف السبب وأعدك أننى لن أقترب منك من بعد ذلك أو ألمسك**
- **سامحينى يا بستان . أنا لن أستطيع أن أفسر لك ما يحدث. أنا لست مريضا والله ، لكنى غير راغب ولا تسأليني لماذا**
- **طبعا لاداعى لأن أسألك فالسبب معروف ، وهو أنك لم تعد تحبنى وأصبحت توزع إسهال عواطفك على العديد من النساء الأخريات وتخصهن باهتمامك**

تسبب هذا الجدل فى خصام بيننا،لكنه لم يدم طويلا، فحبنا الراسخ الأصيل لايسمح بذلك. شوقى انسان معطاء لايبخل على بشىء أبدا ، فكيف يقرر فجأة أن يبخل على بهذا العطاء الفطرى الذى يعبر عن التلاحم والمودة والتوحد بيننا. مازال هذا السؤال حائرا معلقا حتى اليوم.أنا بطبيعتى شكاكة بشدة فى أى شىء. فكرت يوما فى أنه قد يكون مصابا بأحد الأمراض الجنسية المعدية التى ربما التقطها من احدى صديقاته المجهولات ، ويخشى من انتقال العدوى الىّ. لمت نفسى كثيرا على سوء ظنى لأنى أجزم أنه لا يمكن أن يسقط بنفسه فى مهاوى تلك الأعماق الحضيضية القذرة، وهو الرجل النظيف المحترم ذو الذوق الرفيع والحساسية المفرطة. لكن اذا كان قد اعتزل الجنس لسبب غامض لايريد البوح به، فلماذا لم يعتزل صداقة النساء، بل لماذا تمادى فى هذه الصداقات أكثر من ذى قبل ، ورنين جرس الهاتف خير دليل على ذلك.

لقد شاهدت فى أحد البرامج الدينية دراسة أجراها علماء ايطاليون عن مخاطر الحب غير المشروع، أظهرت الأضرار الكبيرة الناجمة عن علاقات الغرام والعشق المحرم. من بين هذه المخاطر انخفاض هرمون التستسترون عند الرجال العاشقين عن معدلاته الطبيعية وزيادته عند النساء العاشقات، فيبدو الأمر وكأن الطبيعة تريد أن تمحو ما يمكن أن يشكل اختلافا جوهريا ما بين الرجال والنساء. ان الله الذى خلق البشر قد وضع قانونا بالتقارب المشروع بين الرجل والمرأة فى قوله:"ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون". وقال العلماء ان الوقوع فى الحب المحرم يؤثر على الدوائر الرئيسية فى المخ حيث يتوقف بعضها عن العمل ، كما يتم تدمير بعض المواد الكيمائية الرئيسية الموجودة بها. وتخلص الدراسة من وجهة نظر رجل الدين المصرى الذى

عرض هذا البحث الى أن أكبر مدمر للوقت والطاقة هو العلاقة العاطفية التى لايبتغى بها وجه الله، وأن العلاقة العاطفية الوحيدة المشروعة فى الاسلام هى التى تهدف الى الزواج.

ليت شوقى يعمل بالآية التى تقول:"قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون". أنا واثقة أن شوقى لديه من العلم والمعرفة والبلاغة مايجعله جديرا بأن يكون إماما لأكبر المساجد المصرية، فهو يستطيع أن يقول كلاما كثيرا كله حق يعظ به الناس ، لكنه يقول ولا يفعل، وإلا لما كنت أعانى منه ما أعانى سامحه الله.

لم يعد أمامى غير أن يكون لى السبق فى طلب الانفصال الجسدى متعللة بشخيره الليلى. كبريائى أغلى عندى من تسول حبه واشتهاء جسده. هناك احتمال آخر أخجل من مواجهته به وهو أنه فقد القدرة لا الرغبة وأنه أصبح عاجزا عن الممارسة. لكن كيف لى أن أعرف الحقيقة وهو لم يضاجعنى منذ أن انفصلنا فى غرفتين.

أيتها النساء أنصاف الحرائر يامن تتشدقن بالتحضر والمدنية ومشروعية الصداقة بين الرجل والمرأة، فتخطفن منى حبيبى وتحل بسبب احداكن اللعنة على جسده الحبيب. منكن لله. فلتهنئى به ياحبيبته الجديدة المجهولة وبتبادل الأغانى الغرامية المهداة منك له ومنه لك كما سمعته مرة - دون قصد منى أو تلصص متعمد- وهو يخاطبك فى الهاتف. اهنئى به فهو لن يستطيع أن يروى ظمئك حتى لو خلعت أمامه كل ملابسك فى ضوء وردى خافت بغرفة مغلقة عبقة برائحة الزهور تنبعث فى أرجائها موسيقا رومانسية هادئة.

مازلت فى حيرة من أمر هذا الرجل الذى أعشقه كصحراء شاسعة أقف على تخومها حائرة عطشانة. لست أظن أن مفهوميته قد انعدمت حين سألنى ان كنت أفضل أن يخبرنى أم يخفى عنى ذهابه للقاء صديقة، حين قلت له ان الأمرين عندى متساويان. ألم يخطر بباله فى تلك اللحظة أنه يذبحنى بسكين بارد. أم أنه يتعمد القسوة علىّ لأسباب نفسية كتعويض نقص عن حالته التى استجدت عليه أو الذى استجد بإرادته عليها.

لقد نجح كبريائى فى التوصل الى معادلة ناجعة أتعامل من خلالها معه من بعد انفصالنا كل فى غرفته وكل فى عالمه. أنا فى أحاديثى التليفونية اليومية الليلية الطويلة مع زهور ولؤلؤة، وهو فى أحاديثه التليفونية الغامضة الهامسة مع محبوبته الجديدة ، حين ترتسم على وجهه ابتسامة طفولية سعيدة ويبدو عليه الحرص والتوجس. أتعجب من مخالفته للناموس الالهى الذى يقول:"ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه"، ومن قول السيد المسيح:"لايستطيع أحدكم أن يخدم سيدين فى وقت واحد". نعم نجح كبريائى فى التوصل الى الحل الأمثل: أنا الذى سأمتنع عنه بإرادتى قبل أن يواصل الاستمرار فى هذه المهزلة التمثيلية السخيفة غير المفهومة. لاحظ بحسه المرهف ذلك الامتناع من جانبى أكثر من مرة حين يجيء الى غرفتى فيلاطفنى ويقبلنى ويحضننى، ثم يجلس بجوارى يشرب القهوة أو يأكل الفاكهة. اعتقدت فى البداية أنه يلاطفنى – كعادته- من باب المجاملة فقط. لكنى لمست يوما رغبته فيما هو أكثر من العناق والقبلات ، فلم أعطه الفرصة كى يتمادى فى محاولته.

هاجمته نوبة حادة من السعال اثر اصابته بأنفلونزا حادة. كان بحاجة الى وجودى بجواره فى الليل كى أعطيه الدواء وأعد له المشروبات الساخنة التى أوصى بها الطبيب. حاول أن يضمنى بقوة فابتعدت عنه متعللة بسوء حالته الصحية. استسلم أخيرا لليأس دون أن أعرف ماذا يدور بخلده، غير أنى قرأت فى إنسان عينيه حزنا عميقا لم أدرك فحواه. هو الآن أستاذ غير متفرغ بالكلية. يذهب الى مكتبه هناك ثلاثة أيام كل أسبوع. الأيام الباقية من الأسبوع يمضيها أحيانا بالنادى – كما يقول لى والله أعلم – وأحيانا لايخبرنى الى أين يذهب فلا أسأله. المهم أنه يغادر المنزل كل يوم فى الصباح بعد الافطار وتناول القهوة. فكرت فى البحث عن شخص يمكننى أن أئتمنه على سرى، لأكلفه بمراقبة زوجى وتتبع تحركاته لمعرفة الى أين يذهب وبمن يلتقى كل يوم، حتى أضع يدى فى النهاية حول رقبة تلك المرأة التى خطفت قلبه منى، ثم انتزع قلبها من جوفها وآكله، أو أقتلها ضربا بالقباقيب كما فعلت أم على بضرتها شجرة الدر التى سبق لها أن قتلت زوجها التركمانى فى الحمام أيضا بالقبقاب على رأسه انتقاما من نيته على الزواج

بغيرها. توصلت بعد تفكير عميق الى الشخص المناسب. أمسكت بالهاتف وبدأت فى الضغط على أزراره. فى منتصف الرقم توقفت، فالفكرة سخيفة للغاية وأنا أكثر سخافة منها، إذ سمحت لنفسى بالاقلال من شأن زوجى وقيمته الى هذه الدرجة. فليفعل بقلبى ما يريد وأنا لا أملك له الا السماح، ثم اننى لن أفيد شيئا اذا ما عرفتها ، فما الفائدة؟..هل صحيح أننى سآكل قلبها كما تصورت؟ أم أننى بعد أن أعرفها لن يسمح لى كبريائى بمجرد مخاطبتها؟..الأمر الواقع الذى على أن أقبله الآن هو غرفتين منفصلتين وزوجة مخلصة وزوج ألعبان لكنه محبوب، وما الرضا الا الامتثال لحكم القضاء.

****

صفوت ضرغـــــــام

****

لم تعد لبنى هى لبنى التى أعرفها منذ أن عادت غارقة بالماء فى ملابسها فى ذلك اليوم العاصف. شىء ما قد تغير فيها، لست أعرف كيف أعبر عنه. أصبحت أكثر تلطفا معى فى الكلام وفى علاقتنا الخاصة. صارت أكثر تودادا لايهاب ورانيا. لايمر أسبوع دون أن تشترى الورد وتنثره فى فازات البيت. أغانى عبد الوهاب وأم كلثوم وفريد وعبد الحليم وفايزة ووردة تغمر البيت بغرفه المختلفة. هنا راديو وهناك كاسيت وهنا كمبيوتر عليه برنامج للأغانى وهناك ترانزستور متنقل. أما الأغانى فكلها بهجة وكلمات عن الحب والغرام والهيام. سبحان الله. أين كان هذا الاهتمام بالأغانى والموسيقا بهذه الدرجة من قبل؟..تنتقل من غرفة الى أخرى فى خطوات راقصة لم أشهدها من قبل. رجوتها أن تكتفى بجهاز واحد فى غرفة واحدة يذيع أغنية واحدة وإلا سأصاب بانهيار عصبى.

- حاضر ياحبيبى

لم أسمع منها هذه الجملة منذ تزوجنا أكثر من مرات قليلة تعد بالكاد على أصابع اليد الواحدة.

كانت تعد لنا الطعام بمشاركة رانيا، بينما تغنى فايزة أحمد قصيدة حبيب الأربعاء. كانت ترقص وهى تضع الأطباق على المائدة. رانيا فى غاية من السعادة وهى تشاركها البهجة والرقص والمرح. ايهاب كان يشاركنى النظر اليهما فى دهشة وتعجب أقرب الى الاستنكار. بعد أن انتهينا من الطعام جاء دور جمع الأطباق. كانت الرقصة هذه المرة على قصيدة نجاة الصغيرة:"متى ستعرف كم أهواك يا أملا أبيع من أجله الدنيا وما فيها"!! كلام مجانين وغير قابل للتصديق او التنفيذ. أنا لا أستطيع الاستغناء عن لبنى لشدة احتياجى الى وجودها فى حياتى. كدت أفقد أعصابى حين صحت فى وجهها:

- كفاية يا لبنى!!

فوجئت بغضبى فوقع منها طبق على الأرض وانكسر. توقعت أن تبادلنى الغضب بمثله لكنها انفجرت فى الضحك وقالت:

- الحق علىّ. كنت فاهمة انى أخفف عنك جفاف الرياضيات والدروس الخصوصية

سيل من الفرحة وطوفان من البهجة وعاصفة من السرور. كل هذا أعقب اليوم المطير مباشرة. ما الذى فعله بامرأتى هذا العجوز الذى تجاوز السبعين؟.أنا لا أغار عليها من رجل على وجه الأرض، فثقتى بها مطلقة بلا حدود.هل يمكن لامرأة أن تحب رجلا بهذه السرعة؟..شىء خارج عن المنطق. هل هذا هو الحب الذى لم أعرفه يوما؟.ان كان الأمر كذلك فالحب لايعرف العقل ولا المنطق.أنا أصاب بالرعب حين أسمع هذه الكلمة الغائبة عن قاموس حياتى . أتذكر أننى سمعت يوما بالمصادفة – بتركيز شديد متعمد- الى قصيدة لأم كلثوم تقول فيها:

"هذه الدنيا كتاب أنت فيه الفكر/ هذه الدنيا ليال أنت فيها العمر"!!!

"هذه الدنيا سماء أنت فيها القمر" !!!!

يـــــاه!!!. ما هذا العالم المجنون؟.. أغلب ظنى أننى أحب لبنى دون أن أدرى، بل وربما أحبها جدا.لو كان الحب يفعل بالمحب ما فعله بلبنى فما أجمله اذن وما أروعه وما أحلاه. يسخر منى صديقى مدرس اللغة العربية لموقفى المتحفظ من الحب قائلا:

"اذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى/ فقم واعتلف تبنا فأنت حمار" !

لو كانت لبنى قد وقعت فى غرام رجل جعلها فى هذه الحالة الخرافية من النشوة فأنا فعلا حمار. لا أعى معنى الغناء ولا أستطيع أن أتذوق طعم السعادة التى تنثرها كلماته وألحانه على الكون:

" أغار من نسمة الجنوب/ على محياك ياحبيبى

وأحسد الزهر حين يهفو/ على شفا جدول لعوب

ياليتنى زهرة تساقت / مع الندى قبلة الحبيب "

يا الهى. أين أنا من هذا العالم العجيب؟..عالمى كله أرقام ومعادلات ومجموعات دراسية وآلاف من الجنيهات أكدسها فى البنك كل شهر. لا أجد الوقت حتى للنوم ، فكيف أجد الوقت أو الرغبة لأستمع الى صباح فخرى وهو يغنى من الشام:

" قل للمليحة فى الخمار الأسود/ ماذا فعلت بناسك متعبد
قد كان شمر للصلاة ثيابـــــه/ حتى وقفت له بباب المسجد
فسلبت منه دينه ويقينـــــــه / وتركتيه فى حيرة لايهتدى
ردى عليه صلاته وصيامـــــه / لاتقتليه بحق عيسى وأحمد"

سألها ايهاب فى قلق:

- **فيه ايه ياماما؟**
- **ايه يا ايهاب..ولا حاجة**
- **أنت ترقصين من الفرحة. ما المناسبة ياترى؟ يا ليتنا نعرف حتى نشاركك الفرحة**
- **أنا فرحانة بلا مناسبة..هل لديكم مانع أيها الرجال؟!**

بالأمس عثرت على ورقة ساقطة من أوراق مؤلفاتها التى لاتنتهى. دفعنى الفضول لأول مرة أن أقرأ ما بها من جنون يسمونه الفن، اعتادته لبنى وأدمنته وأنا لم أستوعبه حتى الآن:

" أتذكر يوم قلت لك انظر فى المرآة. لم يكن مقصدى أن ترى وسامة وجهك المضىء بصفاء المحبة. انما أردت أن ألفت نظرك الى تاريخك الذى أضاء صفحات وصفحات من العلم والمعرفة، كنت فيها القائد والمعلم. صانع أمجاد يفخر بها أبناء وطنك الذين لم تدخر جهدا ووقتا للإغداق عليهم بما تملك، واذا أراد أديب أن يشرح علم الجمال فى كتاب ستكون أنت خير مثال على مايكتب"..

عجيب هذا الكلام. انه يخلو من الحوار الذى تقوم عليه كل أعمال لبنى ، فما معنى ذلك؟..هل هى الخميرة الفكرية مصاغة فى هذا القالب السردى المكثف تعده لنفسها قبل الشروع فى كتابة السيناريو؟.. البديل الوحيد لذلك هو أنها رسالة حب كانت تنوى ارسالها لحبيب فسقطت من بين أوراقها. لكنى أستبعد ذلك مثلما أستبعد شروق الشمس من الغرب. ان عالم الأدب والأدباء والفنانين لعالم مجنون حقا، ولكن كل انسان ميسر لما خلق له،ولبنى خلقت لتكتب مثل هذا الكلام: "ان الحنان الذى يتدفق سابحا فى فضاء العشق الالهى والذى يسكن روحك الطاهرة، يعجز عن إدراكه الخلق أجمعين، وتحياه أشواق تلهمها وتستلهمها سفرا وأسفارا، ثم تعود لتروى أرض بلادك بكل صبر ورضا وحب للعطاء.لقد عشت حياتك راهبا فى محراب الفكر محبا لذات الله. كل ذرة من تراب وطنك تشهد على تاريخك المشرف منذ بزغت عليك أول طيوف لفجر سنين تنتظرك. قل لكل الدنيا فى كل زمان ومكان أنك تحب بقدر كل ومضة نور تشع من عينيك، وبكل نبضة من قلبك تبتهج لنغمها أطياف النهار.انطلق ياحبيبى كالريح وانشر أفراح ضيائك فى كل اتجاه يباركك الخالق الذى من صنعه جئنا، وبعد رحلة مقدرة لنا سنعود اليه. يالها من رحلة حياة لذاكرة قلب أيقظت ذكريات عمر عزيز علينا من قبل أن نولد.بدايتها الأزل ونهايتها الأبد. نسائم من عالم الغيب تطلق روحينا طائرين صوب الآباد.رحلة كنت فيها ولم تزل ذاكرة قلبى الذى لن يتوقف عن النبض بأحرف اسمك، حتى لو تهاوت الكواكب وأدركت النجوم أحزان الأفول".

هذه مبالغة تصل الى حد الجنون. تزيّد صارخ فى مشاعر وهمية لعالم وهمى من صنع خيال هذه المجنونة. لاأتصور أن امرأة بهذه الشخصية الناضجة المركبة- بمواصفاتها شديدة الخصوصية- يمكن أن تقع بسهولة فى حب رجل غيرى.أنا لم أفقد بعد قوتى الجنسية حتى تبحث عن بديل عنى بهذه الخسة، فطباعها بعيدة كل البعد عن هذا النزول السفلى البغيض.

أعطيتها الورقة فاختطفتها من يدى بلهفة ووضعتها فى صدرها دون تعليق. فجأة صاحت فى وجوهنا بفرحة شديدة:

- **أنا أدعوكم الى رحلة رائعة فى أوائل الشهر القادم**

سألتها والدهشة تغمرنا جميعا:

- **الى أين يالبنى وما المناسبة؟**
- **الى الأقصر وأسوان. سنصور جزءا من مسلسلى القادم فى الأقصر، ولن أدع هذه الفرصة تفوتكم لزيارة المدينة التى أعشقها من قلبى**

تعجبت لعشقها الزائد لهذه المدينة التى لم ترد يوما على خاطرى. عبرت رانيا عن سعادتها بهذه الدعوة واشترطت أن توضح لبنى موعد الرحلة بالتحديد حتى تستطيع الحصول على اجازة من البنك الذى تعمل به. أما ايهاب فيبدو أن دهشته من سلوكيات أمه قد استحوذت على مشاعره. قال فى برود بنبرات تحمل الكثير من التحدى لأمه التى يبدو أنه يغار عليها أضعاف غيرتى:

- **أنا لن أذهب معكم**
- **لم ياحبيبى؟ ستضيع على نفسك فرصة رائعة**
- **لدى عمل هام بالشركة يجب إنجازه، والادارة لاترحم**
- **على العموم حاول قدر استطاعتك ولاتدع فرصة الاقامة فى نيوكتاراكت على النيل تفوتك. أنت حر..**

أنا لاتزعجنى سعادة لبنى المفاجئة، بل تسعدنى سعادتها بوجه عام، مادامت لاتقصر أدنى تقصير فى حقى وحق أولادى.

****

لبنى سعيـــد

****

تضخم قاموس الأغانى والألحان الحلوة التى أتبادلها مع شوقى حتى خصصت أجندة صغيرة لتسجيلها جميعا على صفحاتها. كذلك قمت بتسجيل الحوارات التى تمت بيننا على برنامج "الشات" بنفس الأجندة، فحرام حذف هذا الجمال الانسانى من ذاكرة الزمن بعد أن خرجت كلماته من صميم قلوبنا ومشاعرنا. ذلك أننى اتفقت مع شوقى على مسح تلك الحوارات وإلغائها تماما من الموبايل بعد الانتهاء منها، تحسبا لاحتمال وقوعها فى يد الغير، فذلك أمر محتمل الحدوث بالطبع لأى سبب من الأسباب وعلى رأسها السهو. لست أدرى كيف تجاهلنا أنا وشوقى هذا الاحتمال فى نشوة فرحتنا بعرس حبنا المتألق والذى جعلنا فى غفلة تامة عن عين الرقيب، رغم أن كلا منا يعرف جيدا أن الرقيب والعذول والحاسد والواشى من ضرورات الحب وملازماته فى كل زمان ومكان.

لن أنسى ماحييت علامات الذهول على وجه شوقى حين صدمته فجأة ولأول مرة بإعلان حبى له. يسعدنى ويرضى غرورى الأنثوى أنه مازال غير مصدق حتى الآن أننى أحبه وأنه هو الآخر أحبنى.

يقول كثير من المغفلين أن الرجل هو البادىء والمسئول عن المبادرة الأولى ، وأنا أقول بفخر وسعادة أننى نجحت فى الإيقاع بحبيبى فى شرك حبى عن جدارة.

لم أكن اتصور أنه قد يوجد على سطح الأرض يوما مخلوق يصدق أن مثل تلك الحوارات الذائبة فى العشق يمكن أن تكون بين رجل وامرأة بينهما هذا التفاوت فى العمر. اللهم الا العشاق والمحبين من أمثالنا ومن بنى عشيرتنا، فهم يفهمون هذا ويقدرونه حق قدره. يقول الصوفية عن ذلك:"من ذاق عرف".. وإذا فسوف أواصل تسجيل تلك الحوارات حتى لاتخضع لفعل الزمن القهرى بمحو آثار ذاكرة القلب ، حتى بعد أن أفارق الحياة، فربما أسعدت يوما مخلوقين آخرين غيرى أنا وشوقى ، حين يحلقان بحبهما فى السماوات العلا وهما يقرآنها معا:

– 1 -

● قـــرأت كتابـــك الثالـــث عـــن الحضـــارة المصرية.شـــىء رائـــع. لاتتصـــور مـــدى ســـعادتى عنـــدما قـــرأت صـــفحاته الأخيـــرة التـــى تحـــوى تعريفـــا بأعمالـــك الســـابقة وسيرتك الذاتية. أنت فخرى وفخر بلادى. أنت جميل جدا يابيبى!

● والله أنـــت الجميلـــة يالبنى.تكلمنـــا وذبنـــا فـــى الكـــلام مـــن الثـــوانى الأولى.ســـألتك وســـألتينى فلـــم يبـــق ســـؤال يســـأل.لكن الأســـئلة تضـــاعفت بحيـــث بـــدا واضـــحا أنهـــا لن تنتهى يوما.فخرك بى أهم عندى من فخر بلادى.

● تعـــيش وتســـلم يـــاقمر. بعـــد أن انتهيـــت مـــن قـــراءة كتابـــك تعجبـــت مـــن أيـــن أتيـــت بهـــذا الجهـــد غيـــر العادى.ربنـــا يـــديمها عليـــك نعمـــة ويزيـــدك مـــن فـــيض عطائـــه. لا أريدك أن تسهر أكثر من ذلك. تصبح على خير ياحبيبى.

● "الهـــوى أنـــت كلـــه والأمانى..فـــاملأ الكـــأس بـــالغرام وهـــات". إنـــى أنيـــب "الست" عنى فى نقل تلك المعانى الفياضة من قلبى اليك.

● يســـلم لـــى قلبـــك ولايحرمنـــى أبـــدا مـــن فرحـــة لقائـــك. كلماتـــك تصـــهرنى وتبكينـــى من فرط السعادة.

● دموعـــك غاليـــة علـــىّ ، لكـــن لابـــأس مادامـــت دموعنـــا تفـــيض بســـعادة كـــل منـــا بحبيبـــه وتطهـــر أرواحنـــا مـــن أدران الجســـد وتصـــهرنا معـــا فـــى بركـــان الحـــب العظيم.

– 2 -

كنا قد اتفقنا أن نقلل من لقاءات"لاكوارتا"- أو أى مكان عام – قدر المستطاع حتى لا نتعرض لمخاطر متوقعة من ثلاثى أعداء الحب، وربما أضفت اليهم رابعا هو الحسود الحاقد. لذلك

وضعنا كل ثقلنا على "الشات"، فهو البديل الوحيد المتاح لنا كى نعبر عما يجيش بصدرينا وقلبينا من مشاعر وأحاسيس وليتابع كل منا حركة حياة حبيبه لحظة بلحظة قدر المستطاع وكأننا نعيش معا فى مكان واحد.

- **ما أخبارك وفيم أنت منشغلة الآن ؟**
- **منشغلة بحبى لحبك أكثر من انشغالى بك**
- **ياه!!هذه مفاجأة**
- **لاتسألونى ما اسمه حبيبى..أخشى عليكم ضيعة الطيوب**
- **عسل وسكر عسل. ضحكة حبيبى سكر. عيون حبيبى عسل.**
- **أتساءل ترى ما هى أغلى آمالك فى الحياة؟**
- **أن يديم علينا ربنا حبنا الجميل، ويحافظ لنا على النقاء والطهارة اللتان تميزانه عن أى حب عرفته أو سمعت عنه من قبل. كان لقاء الأمس رائعا بعد طول انقطاع بسبب الخوف من أعداء الحب.**
- **أحلى ساعات من أحلى عمر. كلما مرت الأيام ازددت ألفة وأنسا بك ياحبيبتى.**
- **مثلما ازددت أنا حبا للحياة**
- **"حبيبى تعال تعال. بر الأمان يناديك ترسى عليه وترتاح فى ظله".. وكأنك تخاطبيننى تماما بنبراتك التى تذوب فى حنايا قلبى المحب منطبعة فى ذاكرته الى الأبد.. ويقول لك نيابة عنى شاعرنا الجميل أيمن صادق:**

"ياواحدتى. يانصفى الأول والثانى. لاغيرك تنجمنى فى ألف سماء ضحكتها. لاغيرك تغمرنى فى ليل الأحزان.

ياواحدتى.بعينيك أبسط أشرعة التيه وأسافر. لايتماوجنى الا الشوق ، فأحط على شوق وأقوم على شوق. يلقينى الشوق الى الشوق.فبربك مولاتى من كان هواك شواطئه هل يبحث يوما عن طوق؟..

ياواحدتى لو كنت نبيا كنت خطفتك فوق براق. ياواحدتى تتنزل من كف الرحمن عطايا، أنت أحب عطاياه..ولذلك أسجد شكرا لله.

ياواحدتى ياست الكل وست الناس.أحيانا أحسدنى وأخبىء عنى فرحة قلبى وهو يقبل طلك فوق طزاجة احساس. وأكذب نفسى وهى تراود عطرك فى أركان الدار، وحول شفاه الكاس وبين تفاصيل الأشياء..وفى أنفاسى، فأعوذ برب الناس من الحساد ومن شر الوسواس الخناس"..

- **معقول؟!!..انسان بهذا الجمال!!..أنا أشعر أنك مبعوث الىّ ، ملاكا من العالم الآخر. ابتسامتك الحنون.. أن تسكب فى قلبى هذه الألحان الأسطورية..نبضات قلبك أسمعها وأنا على بعد فصول من وحدات الزمن المجهول. أتنفس أحرفك الوردية كى أحيا بنور الجنة.. أنت الجنة!**
- **بل أنت جنتى ياحبيبتى. منذ أحببتك أصبح أى شىء غيرك فى هذه الحياة لامعنى له.**
- **أوحشتنى. لك مذاق لست أدرى كيف أشرحه وأنت فيه كل شىء.كلام الشاعر جميل.لكنك أنت الجمال المطلق.يبدو أنك لاتعرف قيمتك عندى**
- **ما أجملك يامن بعثت الى حياتى حبا عذريا أسطوريا فى العام2015 من عصر لايعرف الحب**
- **أشعر أن عمرنا قد بدأ الآن. يخيل الى أحيانا أنك لو مررت أمام شجرة ستجدها تتغزل فيك وتحضنك حتى تذيبك وتذوب معك، ثم تغنى لك العصافير أغنية حب حلوة تملأ الدنيا بهجة وحبورا.**
- **أحبك جدا**
- **وأنا أكثر. ربنا يخليك لى ياغالى..ان جمال روحك يجعلنى أذوب فى الجميل الواحد السرمدى الأسمى الذى لم يحدث ولن يفنى ولايقبل التغير أو الذبول. انى أرتشف رحيق الفضيلة الحقة من هذا الجمال المطلق فيحبنى الله وأحبه.**
- **صباحك فل وياسمين**

● يا صباح النور والحب والهناء. لأول مرة أرى شجرة أول حرف من اسمها.... سر لن أبوح به لمخلوق

● حصّنك الله ورعاك وحفظك من كل سوء يا قمرى.. "وإذ بالمحبة من حولك / نطاق من الله قد حصّنك" *

●قمرك يا منحة قدرى العظمى لا يستمد ضوءه الا من نور شمس طلعتك الحبيبة. حبك زلزال لم تتنبأ به أجهزة أرصادى المتيقظة. غير مسار حياتى من السكون الى الحركة. من الموت الى الحياة.تقولين انك أحببتينى من قبل أن أراك ومن قبل أن أحملك بين يدى ، وأقول لك اننى كنت مستعدا من قديم الأزل أن أحبك يا قرة عينى.

● هل سمعت أغنية فيروز التى تقول فيها:

"يامن يحن اليك فؤادى/ هل تذكرين عهود الوداد
هل تذكرين ليالى هوانا/ يوم التقينا وطاب لقانا
حين الوفا للأغانى دعانا/ طاف الجمال على كل واد
كانت لنا فى الغرام عهود/ صارت حديث الربا والشواد"

●نعم سمعتها..أنا واثق أنك تعرفين جيدا كيف يتوحد العاشقان فيصير كل منهما هو الآخر.

● نعم أعرف يا حبيبى

● ما رأيك أن نتناول العشاء الليلة معا الليلة فى أحد الفنادق؟

● ياريت يابيبى..ياريت..أوحشتنى

● أنت أكثر لكن ما العمل؟.. يارب احفظ حبنا

●لاتخف. الله سيحفظه لأنه يحبنا نحن الاثنين

● أحيانا يخيل الى أنك ستحولينى من أستاذ تاريخ الى أديب روائى

● أنت عالم وأديب وفنان . مجرد ذكر اسمك أمامى يجعل الأرض ترتج بى

● ايمانك بى يرفعنى الى السماء السابعة

●أنت حلو..حلو قوى..قوى

● وأنت أجمل الجميلات

● تسلم لى ياروحى.موعدنا بعد باكر فى نفس الكازينو ان شاء الله.حرام عليك.لم نلتق منذ أكثر من أسبوعين. ان شاء الله يكون الجو قد تحسن

● والله لو أمطرت زلطا فلن يهمنى فى شىء

● وأنا مثلك. أرجوك لاتسهر كثيرا. قبل أن أنام سأقرأ تجليات عمر بن الفارض ياثمرة تجلياتى. يامن سافرت اليك من وراء زمان الزمان.

– 3 -

أجدنى الليلة بحاجة الى الشجن. أجلت الكتابة لما بعد الخروج من هذه الحالة الرائعة من الوجد، والتى لايهون علىّ أن تضيع منى لأى سبب. أستمع الآن الى تقاسيم عود شرقية من فريد الأطرش ملك الشجن."حبنى قد ما تقدر ياحبيب القلب".."ياريتنى طير وانا أطير حواليك"..

كنت قد طلبت من شوقى أن يستمع معى فى نفس الوقت الى نفس الأغنيتين من محطة الأغانى. نحن نسمع الأغانى بنفس الاحساس، مثلما نرى الدنيا بنفس العينين. شجن عميق أصيل غامض يعترينى فأستسلم له وقد تصاعدت حدته عند الغروب. الموسيقا والغناء وطيف حبيبى يلازموننى.يحتضوننى . يحنون علىّ . بى رغبة شديدة فى الغياب عن الوعى.

● بى رغبة شديدة فى الشراب.أنا سعيد أو هكذا يبدو لى. أنت أعذب لحن عزفته لى قيثارة القدر، فكيف لا أكون سعيدا.. "وذكر المحبة يا مولاى أسكرنى/ فهل رأيت محبا غير سكران"؟!!..

●شعر عبد العليم القبانى

● أنت معى ياحبيبى فى وعيى ولاوعيى. فى سكرى وإفاقتى. فى صحوى ومنامى. فى كل لحظة من عمرى، ولو لم توجد لما كان لى وجود.
● "لم نعتنق والهوى يغرى جوانحنا"..سنظل هكذا ان شاء الله
● يااااه..ان الحياء ثياب الحب ياحبيبى
●"يامنية النفس".. آه كم أعشق حياءك
● يارب..
● يارب..

– 4 -

لاحظنا أن عين الرقيب لم تفلتنا على الفيس بوك. بعض الأصدقاء صار يتابعنا باهتمام واضح ويعلق على ما نكتبه على صفحتينا العامتين تعليقات تحمل بعض الإيحاءات الخبيثة. مابالهم لو اطلعواعلى "الشات" الذى يدور بيننا على صندوقينا الخاصين. قررنا أن نضلل أعداء الحب باصطناع وقوع جفوة بيننا، فنشرت على صفحتى فيديو لقصيدة"الأطلال"لأم كلثوم، ونشر شوقى على صفحته أغنية"ودع هواك " لمحمد عبد المطلب. صرنا نتبادل أغانى الخصام والهجر والجفاء لعدة أسابيع حتى نسونا تماما فتوقفنا عن هذا العبث الصبيانى وعدنا الى صندوقينا الخاصين.

● ياروض جنتى الرائع. كأنى أعيش معك فى حلم أبدى البهجة. أسعد الله أيامك.ضحكتك الرائعة المجلجلة تفتح لى بابا على الجنة فأحمد الله وأشكره على نعمته. بالله عليك كيف لم تقل لك كل من عرفتك قبلى إنك جميل الوجه أيضا فوق جمال روحك. لاحرمنى الله يوما من نبع حنانك ومن سحرك الربانى الذى أرى فيه نفحة من عطر الجنة.
● انى حزين دون أن أعرف السبب.
● سبق أن طلبت منك أن تنظر فى المرآة ياقمرى ليزول حزنك أمام حسنك. قل لزوجتك ترقيك من عيون الحاسدين.
● بكيت أنت فى المساء وبكيت أنا فى الصباح حين أعدت الاستماع الى أغنية فريد الاطرش عن المكتوب لنا والذى نجهله. أغنية أصابتنى بالرعب من أفاعيل الزمن وضربات القدر. أشعر أنها موجهة الىّ بصفة خاصة. لكن دموعى غسلت روحى ومنحتنى تفاؤلا بالمستقبل، فتبدد خوفى من الزمن المجهول. ليكن صباحنا صباح حب دون أن نفكر فى الغيب ودون أسئلة وتساؤلات وظنون وخوف وشكوك.
● ربنا يخليك لى يا منوّر الدنيا علىّ من يوم أن جعلتنى جميلة بوجودك. صباح بسمة العمر الجميل.روح الأمل. نور الحياة. ياوطنى. يا أهلى. يا صحبتى. يا كل جميل فى حياتى. أحبك.
16222127128
●ما معنى هذا الرقم؟!
●شفرتنا الجديدة التى ستتخلل حواراتنا من الآن فصاعدا كلما فاض بنا الشوق، لو لم تمانع.
● وكيف أفك هذه الشفرة؟
● بتطابق تسلسل الأعداد مع تسلسل الحروف الأبجدية ، بمعنى أن الواحد يعنى حرف الألف وهكذا. بذلك يعنى الرقم المذكور أننى أحبك جدا، وأنا أقترح هذه الشفرة تحسبا للمتلصصين والعذال فهل توافق؟
● أوافق بالطبع وأفتتح المشروع بقولى16222127128 . هل تستمعين الآن معى الى قصيدة" أقبل الليل" لأم كلثوم على محطة الأغانى؟
● سأفتحها فورا. هاهى."والفجر من غير ابتسامك لا يبدد وحدتى".
●"أواه ياليل طال بى سهرى". أكاد أجن من النشوة أن نستمع معا الى نفس اللحن بنفس الشغف واللهفة والسعادة.
● سلامتك من الجنون ياحبيبى. أنا أيضا مثلك. أشعر أن كل شىء جميل فى الطبيعة يشاركنا روعة احساسنا الآن.

- **"كنت وحدى بين أوهامى وأطياف المنى".**
- **والتقينا فبدت لى أفراح الجنة ياحبيبى.هيا بنا نترك "الشات" ونجلس معا على شاطىء البحر حتى يغشانا الفجر.**
- **"ياقلبى لو طاب لى زمانى وأنعم الدهر بالتدانى". لقد أنعم فعلا والله."تبسم الفجر فى عيونى وغرد الطير فى لسانى".**
- **الحقنى ياشوقى .لقد ذبت من هذه الكلمات. والله ذبت!**
- **وأنا أريد أن أرقص**
- **قم وارقص ياحبيبى ولاتتردد.عمرك شفت قمرا له جناحين يحملنى عليهما ويرقص معى؟**
- **كم أنت جميل يا ألله**
- **أنا أحب ربنا جدا**
- **وما وضعى أنا من هذا الحب ياترى؟**
- **16222127128 ..هذه أحلى ليلة مرت على هذا العام**
- **ربنا يحلى كل أيامك**
- **أنت الذى جعلت كل أيامى حلوة.حفظك الله. انى أدعو لك فى صلاتى كل يوم**
- **وأنا والله أدعو لك أيضا. لكن هل يمكن لأحد أن يصدق هذا الذى بيننا؟**
- **لايهمنا أن يصدق أحد أو ينكر أو يستنكر. نحن معا فى ملكوت آخر غير عالمهم العادى**
- **"بين ماض لم يدع لى غير ذكرى عن خيالى لاتغيب"..**
- **أنا أرى أنه من الأفضل أن تكون:"بين ماض كم يدع لى حلو ذكرى عن خيالى لاتغيب"..**
- **"وأمان صورت لى فى غد لقيا حبيب بحبيب".**

****

شوقى الراهب

****

هل كنت حقا أنتظرها – كما تقول - دون أن أدرى طيلة ثلاثة وعشرين عاما، مثلما كانت تنتظرنى هى الأخرى؟..أى متعة للقدر فى أن يتلاعب بزماننا هكذا ، فيجعلنا نخافه ونرهبه. ياترى هل فى مخططه المجهول أن يفرق يوما بيننا؟.. تقول تعاليم الحكيم المصرى القديم"أمنوبى" والتى تؤكد أن المضمون الروحى لمصر الفرعونية هو أصل البشرية وكل ماجاء بعد ذلك فروع وتفاصيل:

" أنظر الى الوعاء الذى أمامك واجعله يكفى حاجتك ولا ترقد فى الليل متخوفا من الغد ، فعندما يطلع النهار لايعلم الانسان ماسيكون عليه الغد.الله دائما فى فلاحه والانسان دائما فى خيبته. الكلمات التى يقولها الناس شىء والأشياء التى يفعلها الله شىء آخر. كن حازما مع قلبك وثابتا مع عقلك ولا تتحرك مع لسانك لأن لسان الانسان كسكان القارب ورب العالمين هو القائد".

افترضت يوما أن علاقتى بلبنى قد انتهت لسبب أو لآخر. رحت أتصور كيف تكون حياتى بلا وصل معها بعد الفراق. على الفور زارت خيالى قصيدة أم كلثوم المترعة بالشجن:

لاتقل أين ليالينا وقد كانت عذابا

لاتسلنى عن أمانينا وقد كانت سرابا

اننى أسدلت فوق الأمس سترا وحجابا/ فتحمل مرّ هجرانك واستبق العتابا

عتاب وعذاب وهجر وفراق. قال عاشق عن فراق الحبيب انه الموت بعينه. كلمات لم تعد تتحملها أعصابى ولا يحتملها قلبى ولا يطيقها وجدانى المعذب بطبعه. حتى لو افترقنا وسافرت الى بلاد الواق الواق فلن تفارقنى لأنها سكنت قلبى وانتهى الأمر. وان افترقنا فماذا أفعل برسالات العشق التى تبعث بها الى كل يوم مع طيور الحنين؟..ماهذا المجون يارجل؟.كيف تضعف أمام نظراتها ونبرات صوتها وتعجز عن الخلاص منها لتعود الى صومعة وحدتك واستغنائك؟.. انها ماثلة أمامك فى كل لحظة ، تراها بروحك قبل أن تراها بقلبك، وتراها بقلبك قبل أن تراها بعينيك. قالت لك هذه المجنونة يوما:

- الحب هو الله ، والله حى لايموت!

تصورت غيابها بالفعل عن حياتى فانتابنى شعور بالخوف من الدنيا – التى أعشقها – زلزل كيانى، وكأن الموت سيحضرنى بمجرد وقوع الفراق. أعقب ذلك شعور مكثف بعبثية الحياة ولا جدواها من بعد لبنى، وبالتالى سأفقد ادراكى وارادتى، ومن ثم نزوعى نحو أى شىء فى هذه الحياة. أى أننى لن أريد أن أريد شيئا.تماما كما كان يغنى"اليوشكا"- الاسكافى الروسى – فى مسرحية الحضيض مساء كل يوم على الأوكورديون المتهالك الذى يتسول به على المقاهى والخمارات وهو فى حالة سكر بيّن هربا من اختناقه بحياة مزرية تعسة لاينبغى أن تعاش كما وصفها "جوركى". أنا لا أريد شيئا مثل اليوشكا مادام وصل لبنى قد استحال الى فصل..وقد جرب"ابن حزم" من قبلى بزمن طويل سائر اللذات على تنوعها، وأدرك الحظوظ على اختلافها، فتوصل الى أنه ليس للدنوّ من السلطان ولا المال ولا الوجود بعد العدم ولا الأوبة بعد الغيبة ولا الأمن بعد الخوف ، ما للوصل، لاسيما بعد طول الفصل حتى يتأجج عليه الجوى ويتوقد لهيب الشوق وتتضرم نار الرجاء.

حين تنتابنى تلك المشاعر المرهقة، أسارع بالهروب منها مستسلما لخدر الحب اللذيذ، حتى أرتاح من هذا الألم ، فعين الهوى عمياء، وياحبذا لو صاحب هذا الاستسلام بضعة أكواب من البيرة المثلجة وبعضا من حبوب الفول السودانى الأسوانى الأقصرى المحمص. حينئذ تعود اليّ مسراتى وأفراحى الزائفة طالما أبقيت عقلى بعيدا، لكنه حين يعود فأنا أقبض بيدى على هذا الزيف لتكتوى بلهيبه الحارق، فأفيق من نشوتى وأعود من جديد الى العذاب.

لكم تمنيت لو تركت التاريخ وتفرغت للأدب من أجل هدف واحد أحقق به إنجاز عمرى، وهو كتابة رواية أحكى فيها قصة حبى للبنى. أقول فيها كل ما يجول بخاطرى من عقل وجنون. أقول اننى أتمنى أن أجلس بجوارها تحت الأشجار حتى الصباح دون أن ينطق أحدنا بكلمة واحدة

مثلما فعل جميل وبثينة يوما. أتمنى أن أبذل المستحيل حتى ألقاها ولو فى أصعب الظروف، ولو تنكرت فى زى راع للغنم رغم أنه لاصحراء ولا غنم ولا راع ولا مرعى. أتمنى أن أكسر معها الحصار الذى نعانى منه ، ونتحايل حتى نلتقى على حبنا الطاهر الذى ارتضيناه لأنفسنا وقد تأسينا بقول جميل عن محبوبته:"لانالتنى شفاعة محمد ان كنت وضعت يدى عليها لريبة قط. ان أكثر ما كان منى أننى كنت آخذ يدها وأضعها على قلبى فأستريح اليها". أنا لست أطمع ولا أريد حتى أن أضع يدها على قلبى. يكفينى أن أنظر اليها وتنظر الىّ وقد تعلقت روحى بروحها وتعلقت روحها بروحى.

أيها الواقع الأليم الذى لامفر من مواجهته. أيتها الدنيا الجميلة الغادرة التى برع التوحيدى فى وصفك الذى تستحقينه حين قال:" ما أشبه الدنيا وخداعها الا بقحبة حسناء تظل تناجيك وتناغيك حتى اذا أقبلت منها صاحت فى الناس وصرخت فى طلب الوالى وأورثتك الندامة وعض الأنامل من الغيظ."..اننى لايمكننى – مهما بلغت قدرتى على التنبؤ – أن أعرف مصير قصتى مع لبنى، فذلك شىء فى عالم الغيب والملكوت ولا أعلم إن كانت نهايتها ستشبه ما سبقها من نهايات قصص الحب السالفة التى آلت إما الى الفتور وإما الى الجنون وإما الى الموت.. وفى الزمان القديم نصح الحكيم"آنى" ابنه"خنسحتب" قائلا:

" خذ حذرك من المرأة الأجنبية ولاتغمزن لها بعينك، ولا تبغ معها فهى ماء عميق لايعرف الرجال تياراته، والمرأة البعيدة عن زوجها تقول لك كل يوم"انى جميلة"، ولذلك عندما تكون بعيدة عن أعين الرقباء تقف أمامك لتوقعك فى حبائلها".

هذان تحذيران صريحان من زمانين قديمين جالا بخاطرى وأنا أصارع قلقى المحبوب بحب لبنى ، والذى لن يسفر يوما عن مهزوم ومنتصر.

ان استمرار نبض الدماء فى شرايين تلك العلاقة التى تقاتل فيها العذاب مع المتعة فكاد يهزمها، هو فى حقيقة الأمر رهين مصادفة عبثية بحتة. هى لم تقع بعد ، لكنها قد تقع فى أية لحظة، فإذا ما وقعت – لاقدر الله – توقف النبض وتلاشت قصة الحب الخرافى المسروق، وأضحت سيرتنا عرضة للفضيحة والعار. أى أننا فى مأمن – بالمصادفة وحدها – من تلك المصادفة القدرية حتى الآن ، طالما لم يكتشف زوج لبنى يوما حوارات العشق والغزل الدائرة بيننا لو نسيت سهوا هاتفها المحمول قبل أن تمحى الحوار فوقع فى يده، أو لو عبث يوما باللاب توب الذى يخصها بحسن نية على سبيل التسلية البريئة فرأى صورى الضاحكة معها فى الجاليرى الذى يحتوى على كل الصور المخزونة فى الموبايل. ماذا لو قرأ تدليلها لى أو قرأ تشبيهها لى بالقمر، أو قولى لها اننى لا أتنفس الا فى ظلها ولاأغفو الا تحت جناحيها. هل يمكن أن يصدقنا لو أقسمنا له على الكتب السماوية الثلاثة المقدسة أن حبنا عذرى وأننا حرمنا على أنفسنا حتى القبلات. ماذا يحدث لو تصادف ورآنا معا فى مكان عام من الأماكن التى نلتقى فيها خلسة خوفا من الناس ، وخاصة كازينو لاكوارتا المفتوح من جميع جوانبه على أمة خلقه. كيف سيكون موقفى من نفسى حينئذ فى ذلك اليوم غير المستبعد قدومه ان آجلا أو عاجلا. كيف سيكون موقفها من زوجها وموقفه هو وأبناؤه منها، وكيف سيكون موقف بستان منى أنا الآخر حين يفتضح الأمر. أغلب ظنى أنها ستتهمنى بخرف الشيخوخة حتى لو أقسمت لها مائة مرة أن مابينى وبين لبنى مجرد علاقة حب بريئة ملائكية طاهرة. لن تصدقنى بالطبع مثلما لن يصدقنا أحد فى هذا الكون . مساكين هم أهل الهوى بوجدانهم الحائر وعذابهم الذى لامهرب منه. يرفضون نداء العقل خوفا على عشقهم، ويستنكرون قهر النفس حرصا على غرامهم، فالعقل والهوى لايجتمعان أبدا ، وحب الشىء لاينقطع الا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا، وهذا الذى يقهر نفسه أعظم من ذاك الذى يفتح مدينة. لا أنا قادر على الامتثال لنداء عقلى ، ولا أنا قادر على قهر نفسى، فحبى للبنى يغرقنى فى الحيرة حتى الموت. رغم ذلك كله فما زلت متيما بها، عاشقا لتأمل معالم الدهشة المستبدة دائما بوجهها والتى تسحرنى وتأخذ بعقلى، مثلما أعشق قسمات وجهها الجميل حين تمعن فى التفكير والتأمل. حين أتكلم

معها تبدو فى عينى وهى تنصت لى كطفلة ماكرة شديدة الذكاء. أصبحت فى حبها كالأسير لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا، ويوما بعد يوم يزداد يقينى بأنه لن يفرق بيننا الا الموت.

****

ايهاب صفوت ضرغام

****

كلما تمر الأيام ازداد اقتناعا بتوجهاتى الدينية الحاسمة رغم معارضة أبى الشديدة لذلك وتجاهل أمى التام. انى أجد في هذه التوجهات خلاصا مما أعانيه من تناقض وتمزق بين مادية أبى وغفلته، وانفلات أمى وتحررها من كل الأعراف التى تصالح عليها المجتمع. أبى تحول الى عاشق للمال الذى أصبح غايته من الدنيا لاوسيلته الى معيشة كريمة. لم يركع لله يوما ولايعرف من الدين الا صلاة الجمعة. لايذهب اليها الا بعد أن ينتهى الإمام من الخطبة ويبدأ الصلاة. أمى تقنن الرذيلة فى مسلسلها الشهير الذى تغنى الناس إعجابا به والذى عنوانه "قانون الحب". تكاد تحلل للزوجات أن يحببن على أزواجهن،وللأزواج أن يحبوا على زوجاتهم، متعللة بأنه مادام الحب عفيفا فلا بأس. انى لا أعتقد أنه من الممكن لأى انسان أن يعيش حالة من الحب الروحانى الكاملة دون الحب الجسدى، فطبيعة الانسان تحتم عليه أن يحيا الحالتين معا لأن هذه الطبيعة تجمع بين الروح والجسد فى امتزاج يستحيل فصله. بذلك يكون هذا الادعاء الكاذب ضد الطبيعة ولا مفر من فشله، ولم يفهم الجسد فى الدين أو الفلسفة الا بجدليته المرتبطة بالروح ارتباط الفانى بالخالد والدونية بالسماوية. كثير من الرجال يدعون الملائكية بينما يضمرون الاشتهاء ويقوم اعجابهم على جاذبية الجسد. بعضهم ينجح فى الخداع حتى ينال مبتغاه ، والبعض ينكشف سره ويزل لسانه حين تبدو مخالبه الدامية تحت قفازه الحريرى.

انى أكاد أجزم أنه ما من رجل عرضت عليه الحب امرأة جميلة وطال ذلك، وتهيأت الظروف لهما الا وقعا معا فى شرك الشيطان، واستهوتهما المعاصى، وما من امرأة دعاها رجل بمثل هذه الحالة وأمكنته الا وكانت النهاية واحدة.

لقد سمى العرب الأقدمون هؤلاء المحبين العذريين بفساق العشاق لعدم الثقة فى خواتيم نواياهم. ومن الغريب أنهم يصفون هذا الحب بالملائكية رغم أن الانسان أعلى فى درجاته عند خالقه من الملائكة لأنه مخير غير مسير على الطاعة، ومن يسمو بإنسانيته فهو يسمو فوق الملائكة، ولا يتحقق هذا الا بالخضوع لناموس الطبيعة بدلا من هذه المغالطات اللفظية المخادعة.الكارثة أن أمى – على عكس أبى تماما – على درجة عالية من الثقافة، فهى لاتكف عن القراءة ليل نهار فى شتى المجالات الانسانية ومن بينها الأديان الثلاثة.

رغم التناقض الشديد بين شخصية أبى الجافة الجامدة التى لاتعترف بالعواطف ، وشخصية أمى العاطفية الميالة الى هوى النفس وإغوائها ، الا أننى أراهما ينتميان الى نفس الفصيل الانسانى العاشق للحياة والمتلهف عليها والنهم الى ملذاتها التى يشتهيها ويفنى عمره لأجلها – كل على طريقته – غافلين عن الحياة الأخرى التى تنتظر الجميع.

تعلمت من قراءاتى الدينية أن الاسلام يوازن عند الانسان بين متطلباته المادية والروحية على عكس اليهودية التى تنتصر لقوة المادة والمسيحية التى تنتصر للروح وتنبذ الجسد وأهواءه ، بل وترى فيه منبع الخطيئة. سأحقق لنفسى التوازن المفقود عند أبى وأمى باجتهادى الذاتى دون الحاجة الى عون من واعظ أو شيخ أو إمام مسجد. عندى القرآن والسنة وإحياء علوم الدين وعشرات المراجع الدينية الأساسية لكل من يريد أن يتحلى بخلق الاسلام.

عندما أسأل نفسى عن الضرر الواقع على من هذين السلوكين المتناقضين لأمى وأبى والخاضعين فى الوقت ذاته لنفس الفصيل الذى أشرت اليه، فإننى لا أرى ضررا مباشرا يمسنى من أبى، وإن كان افتقادى لعطفه وحنانه شديدا، لكنه يبخل علىّ بهما عن غير قصد، فهذا هو طبعه وهو نصيبى المقدر لى من عطاء الأبوة. أما أمى – سامحها الله – فهى توقع بى عن غير قصد هى الأخرى فى دوامات متلاحقة من العذاب والحيرة والسخط والألم.ما تقوله فى أعمالها الدرامية يجعلنى أستنكر أمومتها فى بعض الأحيان، بل وأفكر فى مغادرة البيت الى الأبد حتى لا أرى وجهها الجميل. يقول قانون الحب الذى وضعته بأنه أمر طبيعى أن تحب سيدة متزوجة رجلا متزوجا او العكس.روايتها تبيح ذلك بوضوح شديد.تحب المرأة رجلا آخر تفكر فيه

وتنشغل به وتنصرف به عن زوجها وشريك حياتها مما يدفعها الى التطلع الى مالا يحل لها شرعا من النظر والخلوة واللمس، دون أن تشير الى أن هذا قد يؤدى الى ما هو أخطر وهو الفاحشة أو نيتها والعياذ بالله.فإن لم يؤد الى شىء من ذلك أدى الى تشويش الخاطر وقلق النفس وتوتر الأعصاب والشعور بالإثم وتكدير الحياة الزوجية.

بدلا من هذا الفجور كان الأولى بأمى أن تستغل براعتها الفنية كى تحث المرأة المتزوجة على أن تكتفى بزوجها وترضى به وتحرص عليه كل الحرص فلا تمتد عيناها الى رجل غيره، وعليها أن تسد على نفسها كل باب يمكن أن تهب منه رياح الفتنة. وإن تجلت لها بوادر شىء من ذلك فعليها أن تبادر بإطفاء الشرارة قبل أن تستحيل الى حريق مدمر قد ينتهى بفضيحة مدوية. كان على أمى أن تدرك مسئوليتها الفادحة كفنانة وإعلامية وكاتبة فلا تروج للفوضى الاجتماعية والفساد الأخلاقى بما تبثه من أعمال فاضحة مخالفة للشرع والدين. فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول:"ليس منا من خبب" أى أفسد الزوجية. أنا أعلم أن الحب بين الرجل والمرأة نعمة من الله عز وجل شريطة أن يكون حلالا، ولكن عندما تحب الزوجة رجلا غير زوجها فهذا حرام شرعا مهما كانت الأسباب التى تتعلل بها، كأن تريد كسر روتين الحياة الممل بما فيه من ضغوط وأعباء، أو أن يكون زوجها غافل عن إعطاء أنوثتها حقها فى إشباع رغباتها المشروعة، أو مهملا لواجباته العامة تجاهها منصرفا عنها ، كأن يكون بخيلا مثلا أو فاسقا أو أن تكون قد اضطرت الى الزواج منه لسبب أو لآخر. فى مثل تلك الأحوال عليها أن تطلب الطلاق وتتزوج ممن تحب، لا أن تحب غيره وهى مازالت على ذمته. أنا أسمع من الكبار أن الحياة الزوجية مع الزمن يصيبها البرود والتجمد، حيث تخمد العاطفة أو تموت، لكن النابهين من الأزواج والزوجات يتبعون أساليب عديدة لإحياء الحب وتجديده حتى لايبحث أحد عن رفيق جديد. وأتساءل هل يحب الرجل الرذيلة لأمه أو أخته أو ابنته؟.."ان كل نفس بما كسبت رهينة".وما يفعله أحد بأعراض الناس مردود له قبل الممات.أسأل الله الستر لكل أعراض المسلمين والهداية لهم أجمعين. أحيانا أضع نفسى – كزوج فى المستقبل – فى موضع من يحب غير زوجته فأجد تفكيرى يتجه مباشرة الى أبنائى مستخدما عقلى قبل قلبى، ثم أكثر من الاستغفار واللجوء الى الله عز وجل حتى تنزاح هذه الغمة وأتغلب على وساوس الشيطان التى تلهب مشاعرى، وأكثف اهتمامى بزوجتى التى هى هدية ربانية ينبغى أن أشكر الله عليها. سأعتبره ابتلاء واختبارا من الله لمعرفة مدى قوة إيمانى، وسوف أقاوم مشاعرى وأصفى ذهنى ونفسى لإسعاد زوجى وأبنائى وأواصل الصلاة والدعاء ليلا ونهارا، وحتما سيكون الله معى ويفرج كربتى."ومن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى".رغم ذلك لو تمكن هذا الحب منى وملك علىّ قلبى بحيث لم أستطع مقاومته بكل السبل فإننى سأبقيه فى قلبى ولا أظهره أبدا، وأظل وافيا لزوجى الى الأبد متأسيا بقول الرسول عليه الصلاة والسلام" من عشق فعف فكتمه فمات فهو شهيد". ان تجربة الحب المحرم تجربة مؤلمة، وهى لايمكن أن تعيش طويلا،ودائما ما تكون فى نهاياتها المأساوية خسارة فادحة للطرفين.

****

رانيا صفوت ضرغام

****

يمنعنى الحياء عن التعبير عن دهشتى لما يحدث من تباعد بين أبى وأمى بشكل يثير غيظى، لأنهما قد اعتادا هذا التباعد دون شكوى من أحدهما أو تذمر من الآخر. قليلا ما ألحظ أنهما يختليان ببعضهما فى المساء بإحدى غرف نومهما مثلما نسمع عن كل الأزواج أو كما نشاهد فى الأفلام المصرية والأجنبية. انى واثقة أن هناك حبا يجمع بينهما بصورة أو بأخرى، لكنى أحسب أنه عليلا مشوها، فالحب كالزرع بحاجة الى الماء والشمس والهواء والرعاية. أبى يعيش معنا وكأنه مقيم فى فندق يؤدى به حاجاته الضرورية. يروح ويجىء بلا أثر وكأنه غير موجود فى حياتنا ، أو هو موجود لكن وجوده يكاد يكون بلا وجود.

منذ أحببت "مدحت" أشعر أن عقلى وقلبى وروحى معه. تقارب وتفاهم ومودة وتكامل لاينقصه الا تلاحم الجسدين، والذى لايمكن أن يتحقق بغير زواج. لكن أبى وأمى زوجان، رغم ذلك فلاشىء يجمع بينهما أكثر من الألفة المعتادة. كل منهما مشغول عن الآخر بعالمه سعيد به، مكرس كل وقته للاستمتاع به وحده. دروس خصوصية هنا ومسلسلات درامية هناك. أىّ شركة انسانية متكاملة تلك التى يصفون بها الزواج بين رجل وامرأة!..هل هكذا سيكون وضعى مع مدحت بعد أن نتزوج وننجب، فيذهب كل منا الى حال سبيله فى عالمه الخاص ، بينما نحن متواجدان معا فى شقة واحدة؟.

من رابع المستحيلات أن أخوض مع أبى فى مثل هذا الشأن، فالنتيجة معروفة سلفا وخلاصتها أننى لن أحصل منه على شىء. أما أمى فمن الممكن أن أحاورها وأناقشها فى أى أمر من أمور الحياة بحكم صداقتها لى وبحكم تفتح مداركها وأفكارها واتساع أفقها وصدرها ، ولكن أن أفاتحها فى أخص خصوصياتها لمجرد إشباع فضولى، فأعتقد أن ذلك أمر غير مستحب لما فيه من اقتحام لا اخلاقى لقدس أقداسها الذى لايجوز لأحد مهما كان أن يطلع عليه.

ان الاكتشاف الذى أذهلنى حقيقة ولم أفهم له تبريرا، هو أن انصراف أمى عن أبى ليس راجعا فقط الى اهتمامها بعملها، فقد لاحظت اهتمامها مؤخرا باستخدام الموبايل كثيرا خلال اليوم لكتابة الرسائل عليه. لمن ياترى تكتب هذه الرسائل التى لاتنتهى؟..ولمن ياترى تلك الهواتف الليلية الهامسة المصحوبة بابتسامة تفيض سحرا على وجهها الجميل فتزيده اشراقا وبهاء. تلك الابتسامة لم ألحظها أبدا خلال تحاورها أو حتى تهامسها مع أبى.

رغم ذلك فلم تواتينى الجرأة أبدا على سؤالها لمحاولة فهم سر تلك الجفوة الغامضة والتباعد غير المعلن بينها وبين أبى رغم تصريحها الدائم لنا وله أنها تحبه. لقد استطاعت باقتدار عبقرى أن تصنع معادلة عملية ناجحة للتعامل والتعايش معه فى سلام، لكنه من المؤكد ان هذا ليس هو الحب.

هل الزواج التقليدى هو مؤسسة اجتماعية فاشلة فى معظم الأحيان كما يردد أغلب الأزواج والزوجات؟ ان كان الأمر كذلك فالزواج عن حب ينفى عنه صفة الفشل، لكن واقع الحال ينفى ذلك تماما ، فكم من زيجات فشلت بعد أن كانا طرفاها يهيمان فى بعضهما حبا وغراما. لكن الذى يثير دهشتى هو أن يقع الزوج أو تقع الزوجة فى الحب بعد الزواج ، فتصبح العلاقة الزوجية وجبة سخيفة غير مستساغة الطعم ، لايعقب تناولها الا عسر الهضم.

****

بستان السعدى

****

سحرته الملعونة. أنا لا أردد هذا القول عن جهل أو تخلف، فالسحر موجود فى القرآن. دليلى على ذلك أنه أصبح يمر أمامى أحيانا فلا يرانى ،أو يرانى ولا يبصرنى، أو يبصرنى ولا يرانى. تائه مذهول. ابتسامة ساذجة كلها طفولة تستولى على معالم وجهه. اقتصر الغرض من وجوده بالبيت على تسجيل الأغانى والاستماع اليها،واجراء المكالمات التليفونية الهامسة. لم يعد يطلب منى طعاما معينا كعادته. أى طعام أضعه أمامه يأكله أو لا يأكله إذ انكمشت شهوته الى الطعام لدرجة ملحوظة. قل دخوله الى غرفتى بل كاد ينعدم. ان تصادف وتواجدنا فى حيز مكانى واحد لايكلمنى أبدا مالم أكلمه أنا. حتى ردوده أصبحت مختصرة للغاية. تعامله معى أصبح يعبر عن رغبة خفية بداخله أن أختفى من أمامه حتى يمكنه أن يتفرغ لعالمه الرومانسى الوهمى الذى ملك عليه كيانه. اندفاعه نحو الهاتف ثم اختلاؤه به بعد ذلك فى مكان بعيد، يؤكد لى أنها هى الساحرة الملعونة التى أصابته بمس من الجن. أين ذهب علمك يادكتور وكيف لم تسعفك معرفتك ولاثقافتك حتى لاتقع فى براثن ذلك السحر؟..كانت سعادته بالغة حين اضطرتنى الظروف الى البقاء بمنزل زهور أسبوعا كاملا حين دب بينها وبين زوجها خلاف كبير بسبب إصرار الزوج على أن تتخلى عن انضمامها الى فرقة الباليه القومية وتكتفى بعملها فى مكتب الديكور الذى تديره. استنجد بى زوجها فاستجبت له، ولولا انحيازى القاطع الى وجهة نظره لانتهى الأمر الى الانفصال. فى ذلك الأسبوع كنت أداوم الاتصال بشوقى تليفونيا بصفة يومية للاطمئنان على أحواله المعيشية. كم كنت أتمنى أن يقول لى مرة إننى أوحشته أو إنه يتعجل عودتى الى البيت لاشتياقه اليّ. لم يحدث شىء من ذلك. كان الجو متاحا له كى يتبادل الهمس مع حبيبة القلب فى حرية تامة. على العكس كان يقول لى بصراحة فاضحة:

- خذى راحتك. لاتعودى إلا بعد أن تحلى المشكلة تماما

آه منكم يارجال. النذالة تجرى فى دمائكم جميعا ولا أستثنى منكم شوقى.

عندما عدت الى البيت كانت صدمتى قوية حين استقبلنى بفتور وكأنه كان يتمنى بقائى عند زهور الى الأبد. فى تلك اللحظة اختمرت فى ذهنى فكرة ارتاح لها قلبى. لم تمر سوى أيام قلائل حتى وضعتها موضع التنفيذ. حزمت حقائبى وتأهبت لمغادرة هذا البيت الذى لم أعد أطيق البقاء فيه. مفاجأة لم يتوقعها أبدا.

- ايه الحكاية؟
- أنا رايحة عند لؤلؤة
- ما الذى جرى عندها هى الأخرى؟
- لاشىء
- اذن لماذا هذه الزيارة المفاجئة؟
- أريد أن أريح أعصابى قليلا
- وما سبب تعب أعصابك؟
- لاتسألنى عن السبب. جهزت لك طعاما يكفيك أسبوعا. تجده فى الثلاجة.

لم أعطه فرصة لمواصلة الحوار. كان البواب قد وصل. حمل لى الحقائب وغادرت البيت فى مشهد سينيمائى متقن. لم أصافحه. لم أبدى أى غضب. صنعت على وجهى ابتسامة خادعة وانا أقول له:

- أشوفك بخير ياشوقى. خل بالك على نفسك

فى العربة لم أستطع السيطرة على دموعى. كان لابد أن أصل الى ابنتى فى حالة طبيعية حتى لا أثير لديها تساؤلات منطقية عن أسباب زيارتى المفاجئة، وإقامتى التى لم يتم الاتفاق عليها من قبل. كان استقبال لؤلؤة وزوجها لى استقبالا جميلا فوق الوصف، وكأنهما كانا يعلمان بزيارتى وينتظرانها. لاحظت وجود عدة حقائب بالصالة حين وضعت حقائبى.

- جئت فى وقتك يا ماما

- خير يالؤلؤة
- ستأتى معنا الى الأقصر وأسوان!

فى زمن قياسى حجزا لى تذكرة على الطائرة وغرفة بالفندق الذى سينزلان به. لم يعطيانى الفرصة للاعتراض بحجة أننى لم أرتب نفسى، أو أننى غير مهيأة نفسيا للسفر. كان بداخلى وازع خفى قوى يحثنى على انتهاز هذه الفرصة التى أهدانيها الله للراحة والاسترخاء والتنزه، وكأنما شاء القدر أن تأتينى هذه الرحلة على طبق من فضة آخذ فيها إجازة من انفعالاتى وقلقى وحيرتى وزوجى.

حين اختلت بى لؤلؤة سألتنى بابتسامة خبيثة جميلة:

- ايه الحكاية ياماما ؟..أنت طفشانة من بابا والا ايه؟
- شىء يشبه ذلك
- هل تخاصمتما؟
- أبدا أنا لا أخاصم شوقى، وشوقى لايخاصمنى ، مهما حدث بيننا
- فلماذا لم تخبرينا انك قادمة الينا؟
- أردت أن أجعل من زيارتى مفاجأة
- تشتغلينني يا ماما ؟!!
- صدقينى هذه هى الحقيقة
- عموما حظك فى رجليك. كأنك جئت خصيصا لتمضى معنا هذه الأيام الجميلة.

من الأقصر كنت أتصل بشوقى مرتين كل يوم لأطمئن على طعامه ونومه وصحته. تأتينى اجاباته مختصرة كمن يرغب فى إنهاء الحوار فى أقصر زمن ممكن. فى اليوم الثالث من الرحلة بينما كنا نتجول فى أحد الشوارع الرئيسية بالأقصر ، شاهدنا مجموعة من الممثلين والممثلات يقومون بتصوير فيلم سينيمائى أو مسلسل تلفزيونى. اندفعت نحوهم كطفلة وبى شوق شديد لمشاهدة النجوم والتحدث اليهم. علمنا أنه مساسل تلفزيونى من تأليف لبنى سعيد. كانت واقفة وسط الممثلين والمخرج والمصورين والمساعدين كما الطاووس فى زهوه وجماله وخيلائه. عرفتها لؤلؤة على الفور فاندفعت تجاهها تصافحها بحب شديد، معبرة لها عن إعجابها بأعمالها الدرامية التى تعشقها وتتابعها أولا بأول. استقبلتها لبنى بنفس الحرارة ثم قبلتها بمودة ورقة. كان قلبى يدق بعنف وفى غير انتظام وأنا أرقب هذا المشهد متداخلا فى خيالى وواقعى مع مشهد آخر يحمل فيه شوقى هذه السيدة الفاتنة على كتفه ويجرى بها فى الشارع، ثم تذهب اليه على الشاطىء بحجة اعطائه رواية تمثيلية لها حتى تجالسه وتتودد اليه. فاجأتنى لؤلؤة بتقديمى اليها:

- أقدم لك والدتى بستان.. حرم الدكتور شوقى الراهب!

****

لبنى سعيـــد

****

مضى عام كامل على قصتنا. حب برىء نتباهى به أمام الملائكة يوم القيامة. نختال به على البشر الذين لايؤمنون إلا بالملموس والمحسوس. عام كامل لم نتخاصم فيه سوى مرة واحدة. لم يدم خصامنا الا أياما قليلة. ارتفع ضغطى فجأة واحمرت عيناى وأصبت بصداع قاتل ، فلم أستطع الاتصال بحبيبى ليومين متتاليين. تعجبت لأنه لم يتصل بى هو الآخر. كان الهاتف هو الوسيلة الاضافية للشات حتى لاينقطع التواصل بيننا أبدا، على أن يكون استخدامه عند الضرورة فقط تجنبا للمخاطر. عندما شعرت بتحسن اتصلت به فلم يرد علىّ. كررت المحاولة عدة مرات دون جدوى. حاصرتنى الهواجس والوساوس. لابد أنه أفاق من غيبوبة الحب وحلم السعادة المسروقة من الزمن والأعراف، فقرر أن يبتعد قبل أن تتعقد الأمور. ينبغى أن أحترم موقفه أيا كان، فهو يفوقنى تجربة وفكرا ومعرفة، وله أن يقرر ما يراه صوابا ويرى فيه الخير لنا معا تحاشيا لما خفى من عواقب وخيمة ربما يكون القدر قد أبعدها عنا حتى الآن رأفة بحالنا. حين عشقت فيدرا ابن زوجها "هيبوليت" وكان حبها الممتد وولاؤها الكامل لزوجها من جهة وللأعراف والقيم الأخلاقية من جهة اخرى، فإنها تعرضت لصراع نفسى شديد أفقدها اتزانها العاطفى والعقلى ، فلم تجد لنفسها مخرجا من ورطتها الا بقتل نفسها. صحيح أن شوقى ليس ابن زوجى، لكنه قبل كل شىء رجل آخر غير زوجى. لعل شوقى يخشى علىّ من نهاية كهذه النهاية أو أخرى شبيهة لها. لكن هذا يؤكد أكثر على حبه لى وخوفه علىّ وحرصه على حياتى.. ليته يرد علىّ لأعبر له عن امتنانى لجميل مشاعره وحسن نواياه.

تألمت كثيرا لعدم رده وإذا به يتصل بى بعد عدة ساعات يلومنى بغضب شديد على انقطاعى عنه يومين. لما علم بمرضى أدرك أنه تسرع فى غضبه واستسمحنى فسامحته، وإن لم أسامح شوقى فمن أسامح ياناس؟..حبيبى الذى أهدانيه الله ليحقق لى توازنا نفسيا وعاطفيا واجتماعيا فى حياتى مع رجل طيب لم يستطع أن يلامس أسرارى يوما أو يفتح مغاليقى رغم معاشرته لى سنين طويلة. قلت له فى الهاتف بنبرة قاطعة:

- **اسمع ياشوقى. لا أنت سوف تستطيع أن تستغنى عنى ، ولا أنا سوف أستطيع أن أستغنى عنك، فأرجوك ألا تضيع من أيام سعادتنا ولو ساعة واحدة فى خصام.**

لست أعتقد أن هناك من هو أسعد منى اليوم على وجه الكرة الأرضية، وأنا أحتفل بمرور عام كامل على قصة حبى أنا وشوقى. قررت أن تنعكس هذه الفرحة العارمة على أسرتى ، فدعوتهم لمرافقتى الى الأقصر وأسوان، لا لأن مسلسلى الجديد يتم تصوير بعض مشاهده هناك فقط ، بل لأننى بالدرجة الأولى أريد الذهاب الى الأقصر واستئجار دراجة هناك مثلما فعلت منذ ثلاثة وعشرين عاما. أريد أن أستعيد ذكرى حملى الأولى على كتف شوقى. لكنى سوف أحتاط كثيرا هذه المرة فلا أسرع فى قيادتى للدراجة وإنما أسير بجوار الرصيف، لأننى لو صدمتنى عربة- لاقدر الله- هذه المرة فلن يكون هناك شوقى. هو الآن فى كلية الآداب يحاضر الطلبة. يصغون اليه فى محبة واحترام، بعد أن نجح فى شد انتباههم الى محاضراته بقدرته الفائقة على الشرح والإيضاح الى جانب لمحاته وقفشاته المرحة التى يطلقها بين الحين والآخر حتى يجنبهم الملل. عرفت ذلك حين ذهبت اليه يوما بالكلية وعلمت أنه يحاضر بإحدى القاعات. تسللت من مكتبه الى قاعة المحاضرات واندسست وسط الطلبة فى الصفوف الأخيرة حتى لايلمحنى وانا أدخل من الباب الخلفى للقاعة. الله ياحب ما أجملك. كان يروى لهم قصة شهيرة عن "بيرون" مؤسس مذهب الشكوكية. تعجبت لأنه أستاذ فى التاريخ لا فى الفلسفة، لكن لاعجب مع شوقى الراهب، فهو موسوعة متشعبة الجوانب يصب كل جانب فى الآخر مكونا كلاّ انسانيا متكاملا. راح يردد مقولة بيرون أنه"ليس عندنا من المعرفة ما يجعلنا نرجح سبيلا على آخر".. ويوما كان بيرون يرتاض حين أبصر أستاذه الذى تلقى على يديه دروس الفلسفة وقد علق رأسه فى خندق ملئ بالماء لم يستطع الخروج منه. وقف بيرون يتأمله مليا، ثم مضى فى طريقه ذاهبا

الى انه ليس لديه دليل كاف للاعتقاد بأنه سيحسن الصنيع لو أنقذ أستاذه من هذا المأزق، حين تقدم آخرون وأنقذوا الأستاذ ولاموا بيرون بشدة على تحجر قلبه وجمود عاطفته، لكن أستاذه أثنى عليه لإخلاصه لمبادئه!!..توقعت أن ينفجر الطلبة فى الضحك لهذه المفارقة، لكن الصمت خيم عليهم وأخذت بهم الدهشة وكأن على رؤوسهم الطير وهم يحملقون بإعجاب وولـه فى وجه أستاذهم حبيبى . كانت جاذبيته تشدنى من مقعدى البعيد عنه. لو لم أتماسك جيدا لوجدت نفسى ملقاة عليه كقذيفة من موقعى الى موقعه لأحضنه وأقبله أمام الطلبة بين عينيه اللتين نفث السحر فيهما روحه، فارتد شعرا وموسيقا وأناشيد للمحبة، فحبه يجرفنى مثلما يفعل سيل عارم بالناس والجبال والبيوت والأشجار. لن أعبأ بالعرف والقيم المعروفة والخجل وميراث العقد النفسية والازدواجية فى النظر الى الأشياء. على أسرتى أن تحتفل معى بحبى ولو لم تشعر بذلك. سوف أجبر الزمن ولو مرة فى العمر على الخضوع لارادة المحبين. أنا مستعدة للموت فى سبيل ذلك التحدى.

ها نحن ثلاثتنا فى الطائرة أنا وصفوت ورانيا. أعاجيب القدر تفعل بنا ماتشاء وقتما تشاء. أتعجب لماذا أضاع ايهاب على نفسه فرصة لن تتكرر.معرفة الحياة لا تتأتى الا من اقتناص الفرص واقتحامها والتعايش مع معطياتها المتجددة والمجهولة. ربما لن يرى الأقصر وأسوان بعد ذلك مدى حياته، فقد لاتسمح ظروفه بذلك. لست أدرى من أين له بهذا التجمد. أنا أعرف جيدا كيف أعيش. هذه فرصة فلأغتنمها لإسعاد روحى ومن معى دون أن أضر أحدا . هذا انسان رائع أتحفنى به القدر على أن أتحلى بالشجاعة لأحبه فأحببته. ما كان أغبانى لو لم أستجب لنداء قلبى وأعيش تلك اللحظات التى استمعنا فيها معا الى الأغانى والموسيقا وتبادلنا الأشعار وكلمات العشق الساحرة. أنا لايراودنى ذلك الشعور السخيف بالإثم والذى يراود شوقى بين الحين والآخر. طالما حاولت اقناعه بألا يظلم نفسه بهذا الشعور المهين، فنحن لم نؤذ أحدا ولم نرتكب إثما ولم نخالف تعاليم الرب. يارب حتى القبلة حرمناها على نفسينا ولم نذقها ولو لمرة واحدة تنعش قلبينا ويتوقف عندها الزمن. نحن لانشعر بعذاب أو حرمان. تعاهدنا على ذلك وصدقنا عهدنا لأن رغبتنا واحدة ورؤيتنا واحدة، فكيف نخلق الألم لأنفسنا بأنفسنا. رغم ذلك فإننى لا أستطيع الادعاء ببراءتى التامة من العذاب، غير أنى أختلف عن شوقى فى تصالحى مع هذا العذاب أو تحالفى معه، فأنا أدرك بوعيى كم تتوق نفسى لتحقيق نوع من الحب يزلزل كيانى ويذيقنى نشوة الحياة. أدرك أيضا ضرورة الصدام – وإن تأجل – بالعقبات الداخلية المغروسة فى نفسى نشأة وتربية، والصدام بالقيود الخارجية التى تكبل تحركاتى – مثلما تكبل تحركات شوقى - وتفرض علينا القمع والكبت خلف ستار الأخلاق. لكنى لا أستطيع رغم ذلك أن أخدع نفسى أمام هذه التجربة المشحونة بالحيوية والخصوبة والعطاء، فهى من جانب آخر قد تشكل سببا قويا منافيا للاستقرار جاذبا للألم والشقاء. أنا لا أستطيع أن أحكم على تجربة عمرى بالإعدام بحثا عن استقرار وجدانى وسكينته. إن سويعات الحب الملائكى التى نختطفها من الزمن- ولو الى حين – هى الوهم الجميل الذى أقنع نفسى به لاقتناص لحظات السعادة الرائعة بكل ما تتصف به من عنف وانفعال وتناقض،فما قيمة الزمن ما دمنا قادرين فى مدى ليلة أو حتى ساعة أن نعيش حياة كاملة من الحب والسلام والنشوة؟..إنى أحب هذه التجربة وأتحمل من أجلها العذاب ولن أضحى بها أبدا. وعزائى العظيم فى حالى هو انغماسى فى الإبداع الفنى الذى يستوعب كل ما بوجدانى من حيرة وتناقض.

ياصفوت يازوجى العزيز أقسم لك بكل غال وعزيز أننى لم ولن أفكر لحظة فى خيانتك ، وبأننى على استعداد لأن أصرح لك جهارا نهارا وبصوت مسموع أننى أحب شوقى ،ولكنى أحبك أيضا وأرضى بحياتى معك ومع أولادنا، ولا يعنينى مافى ذلك من تناقض. ربما يتهمنى البعض بالكذب والمراوغة لو تأمل فى كلامى هذا، لكنى لا أهتم بالبعض أو الكل،فلا يعنينى الا شوقى وقلب شوقى وروح شوقى.

معذرة ياصفوت. أنت لايمكن أن تفهم معنى أن يرى المحب فى محبوبه ملاكا أسطورى الملامح، تعزف له عيناه موسيقا عشق لو قورنت بموسيقا بتهوفن وتشايكوفسكى ورياض

السنباطى، وغيرهم من عظماء موسيقيى العالم، لتفوقت عليهم بقرون وقرون. الموسيقا التى لاتحبها يازوجى العزيز هى روحى وحياتى ،وشوقى هو موسيقاى التى تصحبنى بعيدا عن أرض التناقضات والزيف والألم الى السماوات العلا. هى الفن الذى أمتهنه والذى يسبب لك غيرة شديدة منى تنجح فى إخفائها لكنى أشم رائحتها فى شهيقك وزفيرك ومع ذلك أغفرها لك. أعترف لك أننى لست أملك من حجج أسوقها اليك لأبرر بها حبى لرجل غيرك، بل وأزيد على ذلك بأنه ليس من حقى أن أعيش هذه التجربة وأنا على ذمتك ، ولكنى أستحلفك بالله أن ترحمنى وترأف بحالى، فتلك العاطفة هبطت على روحى ونفذت الى قلب قلبى دون أن يكون لى يد فى ذلك. انها ارادة القدر لو شئت أن تجد لها تفسيرا، والناظر فى الأقدار كالناظر فى عين الشمس يبهره ضوؤها ولايقف على كنهها. العشق ياصفوت هو تغاريد الحب فى رياض القلب. هو أناشيد الأنس بين العبد والرب على أريكة الشوق. أنا لا أبحث عن مبررات ولا أنبش فى عيوب، وإنما أقر حالة أعيشها ولا أجد منها ولا أريد مهربا. ولكن ترانى أحببت غيرك.. لقد خلقنا الله كى نحب ، وأنا لم أفعل ما ألام عليه. أنا التى صنت أمانة اسمك سنين طويلة حتى كاد أن يذبل شبابى. لكنى أسالك الآن كيف قضيت حياتك معى وأنت زوج على الورق تدخل وتخرج من البيت الذى يجمعنا أمام الناس: متى اجتمعنا قلبا وروحا أمام الله؟.. ربما تقول لى ان عملك يشغلك عن تواصل ربانى ممثل فى علاقة حميمية بين زوجين فأسالك لماذا تزوجت؟ هل لأن البشر يتزوجون للحصول على المأكل والملبس وكأنهم قضوا حياتهم قبل الزواج جياعا عراة. لم نفسك أولا وواجهها بالحقيقة. أنت لم تكن بحاجة الى زوجة بل الى امرأة توفر لك الرعاية الاجتماعية فحسب ، مما جعلنى أشعر بافتقادى ذاتى وأنوثتى وانسانيتى بل وجوهر حياتى ووجودى.

نزلت أتجول مع رانيا وبقى صفوت فى الفندق نائما يشخر ، كما لو كان يعوض حرمانه من النوم لسنين عديدة جمع فيها آلاف الجنيهات من أسر الطلبة المساكين أغنياء وفقراء. ما أن اقتربت من المكان الذى صدمتنى فيه العربة وحملنى شوقى منه الى المستشفى ، حتى تدافعت ضربات قلبى فزلزلت جسمى كله. رانيا ابنتى. صديقتى وحبيبتى. تسير بجوارى وأنا أخفى عنها شيئا جوهريا فى حياتى. هل يجوز هذا ياعاشقة فى عرف العشاق؟..لا. لايجوز ألا تعلم ابنتك الحبيبة شيئا عن رحيق حبك وحريقه، وتغنّيك بعشقه الجامح الذى يملك كل قلبك وكل أهوائك وعواطفك ومشاعرك التى تسعى فى سمو نحو قدس أقداس الحبيب. لقد ضقت ذرعا بكتمان هذا الحب العفيف عن الخلق. أكاد أنفجر من اجترار مشاعرى وحدى عن جمال المحبوب ووصله والشوق اليه والحيرة والقلق والحنين والنشوة والسكر والصحو والإفاقة وكل الأحوال والمقامات التى يعرفها أهل الهوى من العاشقين للذات الالهية.

" وكيف يطيق المرء كتمان سره/ وهل يكتم الوجد امرؤ وهو مغرم"؟!

كتمت حبى طيلة الوقت الذى مضى صيانة للحبيب، ولأن هذا الحب قد بلغ من القوة والسمو مبلغا عظيما لا أستطيع التعبير عنه التعبير الكامل بالكلمات. فى الوقت ذاته تنازعنى رغبة قوية ساحقة فى أن أعلن هذا الحب لا لابنتى فقط ، وإنما للدنيا بأسرها، فتلك لذة لايعرفها الا من ذاقها من المحبين ،فأينما يكون الحب تكون الحياة. لقد نفد صبرى والله. اسمعى يارانيا. انت صديقتى وحبيبتى. أليس كذلك؟

- طبعا ياماما..أنت صديقتى وأختى
- إذن فخذى هذه القنبلة!
- ياساتر يارب..فيه ايه ياماما؟
- أنا أحب رجلا آخر غير أبيك
- يالهوى ياماما!!.. أنا لا أصدق ما أسمع. من هو؟
- الدكتور شوقى الراهب الذى حملنى على كتفه منذ ثلاثة وعشرين عاما من هذا المكان الى المستشفى بعد أن صدمتنى عربة وأنا أقود دراجة.
- ياربى..كنت على وشك استئجار دراجة

- ولم لا؟. استأجريها فورا أرجوك. عيشى حياتك كما تريدين
- لكن هل أنت جادة يا أمى فيما قلت؟..دعينا الآن من الدراجة واحكى لى تفاصيل هذه المغامرة الوجودية الشائكة
- أنت ترين فيها مغامرة وجودية حقا؟
- لاشك فى ذلك. احكى لى يالبنى ياعسل.

●

بعد أن استمعت رانيا الى قصتى مع شوقى لم تغضب ولم تعترض ،وانما كانت بشوق شديد للاستماع الى المزيد من قصتنا ، وكأنها تتمنى أن تعيشها بحذافيرها. غير أن مسحة من الحزن غشت وجهها مخفية رفضها المؤكد لهذه العلاقة. قلت لها انها حين تحب لايجب أن تقتدى بتجربتنا المثالية الخاصة ، وإنما عليها أن تعيش التجربة الطبيعية. نحن حالة خاصة ياحبيبتى. لايجوز لأحدنا أن يحضن الآخر أو يقبله أو يلامس جسده، وإلا ضاع العهد الذى بيننا وتحول ميثاقنا الى أكذوبة كبرى تجعل العذال والوشاة والرقباء يرقصون فرحا وابتهاجا لسقوط حبنا النقى فى مهاوى الجسد الفانى. ان حبى لأبيك يشبه رواية طويلة مملة فى عالم الأدب ، أما عشقى لشوقى فهو قصيدة شعر قصيرة ملتهبة المشاعر . انه اشتداد لا امتداد. توهج مشتعل عنيف لا سريان هادىء مطمئن.

- أنت مخلوقة نادرة يا أمى، شديدة الغرابة والجرأة. كيف لم أفهمك من قبل؟
- هيا احضرى الدراجة وخذينى أمامك أو خلفك لنقوم بجولة فى المدينة.
- اعطنى موبايلك. أريد أن أجرى مكالمة هامة. موبايلى نفد رصيده
- لمن هذه المكالمة الهامة ياترى؟
- لصديقى الذى سأحكى لك الآن كل شىء عنه، كما أريد أن أطلب أبى أيضا حتى لايفوته الاستمتاع معنا بهذه الجولة.
- آه. تذكرت. لقد تركت الموبايل فى الفندق لأنه تعطل وانكتم صوته ، وسوف أسلمه للصيانة بعد عودتنا.

فوجئت بفتاة جميلة تتقدم نحوى فى حماس وتصافحنى باندفاع حميمى جعلنى أقبل عليها وأقبلها. قدمت لى أمها قائلة:

- أنا لؤلؤة وهذه بستان. والدتى . حرم الدكتور شوقى الراهب. والدى!

سقط قلبى بين ضلوعى وأنا أواجه شريكتى الأصلية فى حب حبيبى. أقبلت عليها بمحبة واحترام.قبلتها هى الأخرى ثم لم أتمالك نفسى فسألتها:

- حضرتك تعرفيننى؟
- طبعا أنت كاتبة معروفة ولك جمهورك

الله على ذوقك ياشوقى.امرأتك جميلة. هانم بمعنى الكلمة. ما أجمل عينيها السوداوتين ونظراتها الساهمة.

- تعرفيننى ككاتبة فقط؟
- وكمديرة للدراما بالتلفزيون أيضا

كانت بى رغبة شديدة فى اكتساب مودتها والتقرب اليها.قلت:

- ألم يقل لك الدكتور شوقى أنه قدم لى كل المعلومات التاريخية لمسلسلى الأخير؟

أجابت بهدوء وتأدب:

- وقال لى أيضا انه عبر بك الشارع فى اليوم المطير

لم تقل انه حملنى. أحسنت انتقاء العبارة.لسانها جميل مثل وجهها تماما. لم تشأ ان تسبب لى حرجا بأن تصرح بوضوح انها تعلم أنه حملنى على كتفه فى ذلك اليوم مثلما حملنى على كتفه منذ ثلاثة وعشرين عاما.وجدت نفسى أقول لها بحرارة وإخلاص:

- أنتم معزومين عندى اليوم على الغداء فى نيوكاتاراكت ولن أقبل أى عذر مهما كان.

لم أجرؤ على سؤالها ان كان الدكتور شوقى قد جاء بصحبتها أم لا. كان السؤال على لسانى لولا أن تمالكت نفسى لثقتى باستحالة أن يسافر شوقى الى الأقصر أو الى أى مكان آخر دون أن يخطرنى ،وهو الذى يبلغنى على الواتساب أو المسنجر أولا بأول انه انتقل من غرفة نومه الى غرفة مكتبه الى المطبخ ساعة بساعة ودقيقة بدقيقة كل يوم.

لست أدرى كيف ألقت هذه السيدة بمحبتها فى قلبى وكأنها ليست غريمتى فى حب شوقى وصاحبة الحق الأصيل فى قلبه. لم أشعر بالغيرة منها قدر شعورى بحزن شفيف يعبر عما بداخلى من تأمل لا اعتراض فيه على مشيئة الخالق فى توزيع رزقه على عباده. شوقى هو رزق بستان، وصفوت هو رزقى،ولاحيلة لأحد فى رزقه. وحده موزع الأرزاق هو الذى يحق له أن يوزعها كيف يشاء وأين يشاء ومتى يشاء.

بينما أنا غارقة فى شجنى رن هاتف بستان. ردت فى جزع شديد:

- ايه؟!!..معقول؟؟..حبيبى ياشوقى!!

تساءلت لؤلؤة فى فزع:

- ايه ياماما..فيه ايه؟!

صاحت بستان فى لوعة:

- شوقى وقع فى البانيو وجرح. احجزى لى حالا فى أول طيارة الى الاسكندرية.

****

صفوت ضرغـــام

****

ما هذا؟.. غير معقول..كوكى. بيبى. حبيبى!!..من هذه التى تقول ذلك لرجل غريب؟..أهى زوجتى لبنى؟. غير معقول. لايمكن. لابد أننى أحلم بكابوس مزعج.شعر وموسيقا وأغانى؟.أحبك يا توأم روحى. لبنى تقول ذلك لرجل غيرى؟. حقيقة أراها ماثلة أمام عينى. إذن فتلك الورقة التى وجدتها كانت تخص هذا ال"كوكى" حبيبها. أنا عاجز عن تصور حدوث ذلك. لكنه حدث. نعم حدث. السؤال الآن ماذا يمكننى أن أفعل؟. أطلق عليها وعليه الرصاص؟ أطلّقها؟ أم أتجاهل الأمر برمته وأتعامل معها بعد ذلك بأسلوب آخر يليق بخيانتها لى؟.. أيعقل أن ترتضى لبنى لنفسها أن تنام فى فراش رجل غيرى وتبيح له جسدها وتسمعه آهات متعتها وتنهداتها وتتبادل معه اللذة والنشوة والإشباع وقد اندمج جسدها بجسده وانصهرا معا فصارا كيانا واحدا؟؟؟... طول عمرى أخاف من الحب، فهو لايؤدى فى الغالب الا الى الكوارث والمصائب. كيف ياربى أواجه كارثتى وأنا الرجل المسالم الذى لايعرف العداوة والبغضاء والكراهية. أنا لا أعرف الا جلب المال وادخاره، وهذا شىء لا أضر به أحدا. حتى لو لم أكن محقا فيما أفعل فإن الضرر لن يقع الا علىّ وحدى، وهاهو قد وقع بالفعل. شل عقلى وعجز تماما عن التفكير. أول ما قررت أن أفعله هو أن أنزل للبحث عنها وليكن بعد ذلك مايكون. لو اقتضى الأمر أن يتم انفصالنا هنا فلن يفرق هذا كثيرا عما لو أتممناه فى الاسكندرية. هو انفصال والسلام. وليذهب كل الى عالمه. وليذهب ايهاب ورانيا الى حيث يختاران لحياتهما فى غير وجودنا أنا ولبنى الخائنة معا فى بيت واحد.. ياه!! ماهذا الإجرام الذى أقرأه:

- **أحيانا أريد أن أقول انك أقوى وأهم وأجمل مفاجأة فى حياتى.**
- **وأحيانا يخيل الى انك أكبر مجنونة عاقلة التقيت بها طول عمرى.**
- **بل انك أعقل من رأيت رغم جنونك. انها المرة الأولى فى حياتى التى أبكى فيها من فيض الاحساس بالسعادة، حتى أننى تساءلت أيعقل أن يحبنى الله الى هذه الدرجة!**
- **وأنا أشاركك الدمع من قلبى**
- **يسلم لى قلبك يانبض قلبى. دعنى أسمعك بعضا من الشعر لصديقتى الشاعرة الحالمة سيلفانا الحداد:**

" أيها الأسمر المعتق لونك خمرا... يملأ قوارير هيكلى يعرق عشقا
كيف لهذا الجفن أن ينحر معصمى...بمآقى سيفك فأسيل شوقا
تسكرنى ثقافات عينيك وأنا المصلوبة على عبس حاجبيك منبهرة"

- **الله..الله..زيدينى يافاتنتى**
- **"أنثرنى عطرا على صدرك/أعانق حناياك ونحرك**
أقبل ورديك وأوداج جيدك/ وأنسى شفاهى قصدا على ثغرك"

...أيتها الملعونة!..أهكذا تكون نتيجة ثقتى بك وحسن تعاملى معك ومعاشرتى لك؟.. تقول ان أيقونة حبهما هى أغنية فريد الأطرش"روحى وروحك حبايب". حين سألها كيف مازالت تذكره منذ ثلاثة وعشرين عاما، قالت له الملعونة الساقطة:

- **بل أذكرك فى عالم الأرواح قبل ذلك الزمان بأزمنة وأزمنة، وربما من قبل أن يخلق العالم!.**

أيتها الفاجرة. لم أسمع منك مرة كلمة واحدة من هذا الكلام العجيب. أراد الله أن يفضح سرك فتعطل هاتفك حين سقط منك على الأرض، فتركتيه هنا وأنت آمنة على أسرارك التى لن ينطق بها مع هذا الوغد المدعو شوقى.

قالت انها ستنتهز فرصة تعطل الموبايل لترتاح منه ولو ليوم واحد قبل أن تبعث به الى الصيانة. تركته آمنة مطمئنة لكن القدر لعب دوره بأن أنطقه قبل اصلاحه حتى أقع على مأساة عمرى.

فى طريقى للخروج من غرفتى بالفندق فقدت توازنى فاصطدمت بإحدى الحقائب. تعثرت فوقعت. اصطدم وجهى بحافة منضدة بالمواجهة. سال الدم من أنفى وأسنانى..كوكى؟!!..كوكى يا مجرمة؟..لم تدللينى أبدا من قبل. لم تقولى لى مثلا"صوصى" أو "صوصو". أنا عندك مجرد خزانة للمال لضمان مستقبل الأولاد، ورب أسرة شكلى يغطى المظهر الاجتماعى للكاتبة الشهيرة التى تقول فى أحاديثها التلفزيونية والاذاعية أكاذيب لا حصر لها، فزوجها يساعدها فى شئون البيت، وهو محب للفنون والآداب ولا يترك لها مسلسلا دون أن يشاهده، فضلا عن أنه ناقد ممتاز كثيرا ما يبدى آراءه النقدية فى معظم مؤلفاتها قبل تقديمها للتلفزيون، حيث كانت تستجيب لتلك الآراء وتأخذ بمعظمها ، وبناء عليه تقوم بعمل التعديلات التى يقترحها على النص!!..آه أيتها الكاذبة اللعينة. هل أنا أعمى البصر والبصيرة الى هذه الدرجة حتى أعيش مع أكذوبة كاملة دون أن أدرى؟..

تم إسعافى بعيادة الفندق. اتجهت الى شارع السوق الذى أخبرتنى أنها ستتجول فيه مع رانيا. كانت الدماء تغلى برأسى ، لكنى لم أتمكن من التوصل الى قرار محدد أواجه به كارثة عمرى.

****

رانيا صفوت ضرغام

****

كم كنت سعيدة بانفرادى بصحبة ماما فى هذا الجو البديع فى تلك المدينة الأثرية العظيمة، خاصة بعد أن أفشت لى بسر أسرارها الذى لم تجد أحدا على وجه الأرض تفضى به اليه سواى. أنا الأخرى لم أستطع كتمان مشاعرى نحو زميلى مدحت بالبنك. حدثتها كثيرا عنه فلم تزجرنى ولم تنهانى عن خوض التجربة. اكتفت بمطالبتى بالحرص وعدم تجاوز الحدود وحذرتنى ألا يكون صادقا فى مشاعره تجاهى.

قرأت أن معظم المحبين لايستطيعون كتمان حبهم فيعرضون أنفسهم لما هم فى غنى عنه من متاعب. أمى نجحت فى كتمان سرها، فسرها عندى مثلما هو عندها تماما.لم يؤثر ذلك على تقديرى لها واحترامى لتفكيرها ورؤيتها للحياة، لكن شيئا آخر بداخلى كان يوجه اليها لوما شديدا لخداعها أبى المسكين الذى لم يجرؤ مرة على مغازلة امرأة أو عقد صداقة مع أخرى. تغلبت عندى كفة الحب فالتمست لها عذرا وعذرا وعذرا بالنظر الى طباع أبى الجافة وكراهيته لكل ما هو جميل من فن وموسيقا وشعر وغناء اذ يعتبرها أمورا تافهة معطلة لحركة الانسان فى الحياة. فضلا عن تعامله مع أمى كما لو كانت قطعة من أثاث البيت يروح ويغدو عليها دونما انتباه لوجودها الا عندما يفكر فى استخدامها لغرض من أغراضه. أخى ايهاب شرب منه معظم تلك الصفات للأسف مضيفا اليها مسحة دينية متشددة.. منعه خوفه على منصبه بالشركة من التمتع معنا بالسفر والسياحة. سعادته فى الدنيا تقتصر على ذهابه الى المسجد والحديث عما قال الله وقال الرسول، وسماعه لكلمات المديح والاطراء من رؤسائه الذين يصفونه بدينامو الشركة أحيانا وبعقلها أحيانا اخرى. اذن فلتنضم الى والدك يا ايهاب ولتدعنى وأمك نستمتع سويا بأجمل ما فى الحياة.احكى لى يا أمى. قولى لى ماذا تقولان لبعضكما البعض. كم أمتعنى منظر الفنانين والفنانات العاملين بمسلسل أمى وهم يمرحون معها ومعى فى بهجة وانشراح ويصفقون لنا حين شاهدونا ونحن نسير بالدراجة. قالت لبنى:

- سأحكى لك أدق التفاصيل عن علاقتنا الطاهرة بعد أن نسلم الدراجة للمحل.

أهم الصفات التى ورثتها عن أمى هى حب القراءة.أحمد الله أنها نجحت فى تدريبى عليها منذ الصغر. كانت تسألنى دائما عن الكتاب الذى بيدى وتناقشنى فى مضمونه بعد أن أنتهى منه.. ضحكات أمى رائعة كما فتاة فى العشرين. كنت أحبها فأزدتها اليوم حبا على حب. قالت لى ان المتع الحسية التى يوفرها المجتمع المعاصر لا تولّد الا درجات متفاوتة من الإثارة استجابة للملذات والشهوات ، لكنها لاتولد أبدا فرحة فى القلب، وإن افتقاد فرحة القلب هو الذى يدفع من هن مثلها الى البحث عن شريك آخر يشاطرهن هذه الفرحة. تلك الفرحة التى تلعب دورا جوهريا فى العقائد الدينية والفلسفية التى تنادى بأن هدف الحياة هو الكينونة، فالبوذية التى ترفض فكرة اللذة تأخذ بفكرة"النيرفانا" وهى حالة من الفرحة الروحية التى لا حد لها. يارانيا ان الفرحة فضيلة والكآبة رذيلة، وأنا أكره الكآبة بكل ما أوتيت من طاقة على الحب.تذكرى كلامى جيدا يارانيا.ان الوصول الى أسمى درجات النضج الانسانى لايتأتى إلا بألا نشتهى ملكية اى شىء، فماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه كما يقول السيد المسيح. إياك والانسياق – كمعظم الشباب – وراء فكرة الحلم الأمريكى الذى لايعنى أنك موجودة وكائنة إلا بقدر ما تمتلكين وما تستهلكين. ما أعظم فلسفة الشرق يارانيا. فلسفة البصيرة لا البصر. الحدس لا الحس.الباطن الذى لايتطلب البرهان لا الظاهر الذى يتطلب الإثبات.أنت بحاجة الى المزيد من القراءة عن الشرق حتى ترتقى بإنسانيتك ومشاعرك أكثر وأكثر، فرغم سيادة ثقافة الغرب إلا أنها ثقافة تفتقر الى الانسانية الى حد كبير. ان الشرق يتعامل مع الكون استنادا الى حدسه بينما يرتكن الغرب الى حسه وعقله.

- لكن أيهما الأصح؟

- الأصح هو الجمع بين الاتجاهين ، فالدين نفسه يناقش بمنطق العلم حيث تندمج النظرتان فى موضوع واحد.

- ما أجملك يا أمى
- يجب أن تعرفى ياحبيبتى ان الخروج على الطاعة - بما يتبع ذلك من ترويع وعقاب وندم – شىء ، والذنب شىء آخر. قلة من البشر هم النوعية الراقية المصطفاة الذين يخرجون من الطابور الطائع. طابور مطأطئى الرؤوس، و"بروموثيوس" هو البطل المثالى لهذه القلة، فعلى الرغم من العقوبات بالغة القسوة التى أنزلها به "زيوس" كبير الآلهة، الا أن بروميثيوس لم يطعه ولم يخضع له دون أن يشعر بذنب أو إثم ، لأنه يعرف أن أخذ النار من الآلهة وإعطائها للبشر لم يكن الا شفقة بهم ، فهو يفعل الخير ولا يضر الغير. الناس وضعوا لأرواحهم الالهية الطليقة شرائع أرضية محدودة قاسية. أصنام مخيفة خرساء تتحكم فى أجسادهم ونفوسهم. أقاموا لعواطفهم سجنا ضيقا مخيفا وحفروا لعقولهم وقلوبهم قبورا عميقة مظلمة باردة، فإذا ما قام أحدهم منفردا عن جمعهم يقول قولا آخر فهو فى عرفهم شرير متمرد ساقط دنس.

هذا هو حالى مع شوقى الراهب يا رانيا..

- لكن هل هناك مالا يعجبك فى شخصه أم كله فى نظرك حسنات؟
- لايخلو انسان من عيوب، وعيب شوقى الوحيد فى نظرى أنه رغم رقى فكره ورهافة احساسه مازال خاضعا لمبدأ الطاعة. خاضع له منذ طفولته بخضوعه لمنظومة مغلوطة عن المفاهيم الأخلاقية. لذا تنتابه من حين لآخر موجات ملتهبة من رفضه للعلاقة المقدسة بيننا بحجة الحلال والحرام أحيانا ، وبحجة الشعور بالذنب أحيانا أخرى باعتبار أن هذه العلاقة تمثل خيانة زوجية صريحة!!
- وكيف يكون موقفك حينئذ ؟
- أظل أداويه وأداديه وأقنعه أنها علاقة استثنائية شديدة الخصوصية لاتنطبق عليها قوانين الطاعة، حتى يرتد الى طبعه الجميل من جديد ولو الى حين.
- ألا يجعلك هذا تفكرين فى بابا؟
- ألم تسمعى قول المتنبى:

" وعين الرضا عن كل عيب كليلة/ ولكن عين السخط تبدى المساويا" ؟

- فهمت. أى أنك تغفرين له ذلك رغم مايسببه لك من ألم
- نعم ياحبيبتى بكل تأكيد. وإذا كنت أسامح صفوت على العديد من طباعه المزعجة معى ، أفلا أسامح حبيب قلبى على علة نفسية قد يسهل القضاء عليها يوما؟

بعد أن شعرت بالتعب أعدنا الدراجة الى المحل الذى استأجرناها منه ، على أن نعاود استئجارها ثانية فى المساء.. ونحن نتفرج على المحلات التى تبيع التحف والآثار الصغيرة سألتها بعفوية:

- بصفتك كاتبة قديرة أيمكنك أن تلخصى لى أسباب تعاسة الانسان؟
- أهم هذه الأسباب هى استغراقه فى ذاته وانسياقه وراء الطموح الأهوج الذى لانهاية له ،والمنافسة المجنونة لتحقيق نجاح لاسقف له. ناهيك عن الأمراض الانسانية الخبيثة التى تدمر حياة الانسان كالغيرة والحقد والحسد والشعور بالإثم والخوف من الرأى العام، وكذلك الخوف من الموت. ان الحب ياحبيبتى هو مفتاح السعادة ولابديل له أبدا . الحب هو الله والله هو الحب.
- لكنى أخشاه وأرهبه
- لماذا ياروحى؟
- أكاد أكون على يقين من حصيلة قراءاتى وتجاربى المحدودة أن نهايات معظم قصص الحب تكون مأساوية فاجعة!
- لاتصدقى هؤلاء الكتاب، فهناك قصص حب لاتنتهى، وان انتهت فنهاياتها سعيدة هانئة. أراك تتكتمين أخبارك مع مدحت يا ماكرة
- أنا فى حيرة يا أمى من حبه

- لماذا؟
- لأنى لست أعرف لماذا أحبه وقد خطفنى حبه كالقدر أو قولى كالموت من حيث فجائيته الرهيبة.
- الحب ليس كالقدر أو الموت. الحب رزق يحسد عليه الأحبة. الحب ليس فيه لماذا ، فالله يرزق من يشاء بغير حساب
- لكنى مازلت أراه شيئا غامضا عبثيا لاضمان لأحلامه
- كلما تفاعلت أكثر مع مدحت فى حدود الرقة والأدب ستأتيك الإجابات عن كل أسئلتك على طبق من ذهب
- إنى أخشى من كثرة استجوابى له حتى أتأكد من صدق مشاعره
- فيم تستجوبينه يالبنى الصغيرة؟
- كلما جالسته سألته عن كل شاردة وواردة بحياته. ماذا يحب. ماذا يكره. ماذا يأكل. ماهى اهتماماته السياسية. ماهواياته. ماذا عن ماضيه العاطفى.لو طلت أن أقتفى أثر كل حركاته وسكناته لفعلت.

انفجرت ضاحكة وهى تقول:

- هذا هو الحب يا رانيا
- ولكن ما علاماته؟
- عندما تحبين ياابنتى، فطعم قهوة الصباح يصير مختلفا، زقزقة عصافير الفجر تكون مختلفة. حتى الهواء الذى تستنشقينه يصير مختلفا. يقولون انه لاحيلة فى الرزق ولاشفاعة فى الموت، وأنا أقول لاحيلة فى الحب ولاشفاعة فى الموت.
- لأول مرة أكتشف روعة الحوار معك ياماما. الحمد لله الذى أتاح لى هذه الفرصة النادرة.

بعد فترة صمت ترددت قليلا قبل أن أسألها:

- قولى لى بصراحة هل تحبين أبى ام لا؟
- يابنتى أحبه والله
- إذن فكيف تحبين رجلين فى وقت واحد؟ هل يمكنك أن تفسرى لى ذلك؟
- للأسف يارانيا ليس عندى تفسير، وحتى لو كان عندى فلن يكون دقيقا منصفا. لكن تذكرى دائما أننى أراعى الله فى كل أفعالى وأننى لست أنوى ارتكاب أى معصية تغضب الله

قلت لها بشىء من العصبية:

- من فضلك ياماما لاتدخلى الله فى الموضوع. نحن نناقش أمرا دنيويا خالصا
- لن أدخل معك فى جدل وأقول لك ان كل شىء فى الدنيا مرهون بإرادة الله
- حتى حبك لشوقى؟
- لو شاء الله أن يعصمنى عنه أو يعصمه عنى لما ألقى بتلك المحبة الطاغية فى قلب كل منا للآخر ، بكامل ارادتنا وبدونها على الاطلاق.
- من المؤكد أنك ستنتصرين علىّ فى الحوار فمن أكون أنا الى جانب كاتبة قديرة مثلك؟
- المهم ألا يكون هذا الأمر سببا فى غضبك منى أو تباعدك عنى، حتى لاأشعر أننى أخطأت حين أفضيت اليك بما فى صدرى تنفيسا عما أكتمه من مشاعر وانفعالات.

اندفعت اليها أقبلها فى حب فأخذتنى فى حضنها. كنت لحظتها أسعد إنسانة على وجه الأرض.

تقدمت نحونا فتاة جميلة ومعها أمها فيما يبدو لتقارب الشبه بينهما. صافحتا أمى بحرارة وعبرت الفتاة- وكان اسمها لؤلؤة – عن اعجابها بروايات أمى ومتابعتها لها جميعا.فجأة ألقت بقذيفة صاروخية مباغتة فى وجهينا حين قدمت أمها الى أمى قائلة:

- بستان. والدتى. حرم الدكتور شوقى الراهب. أبى!!!

أصابنى ذعر شديد لهذه المفاجأة وكأننى ارتكبت خطيئة عمرى نيابة عن أمى أن أحببت زوج هذه السيدة المهذبة الرقيقة التى تقف أمامها وجها لوجه، وتؤكد لها أنها تعرفها وتعرف قصة

عبورها للشارع الغارق فى المياه والوحل بعون زوجها الدكتور شوقى ، دون أن تذكر أنه حملها على كتفه. نظرت الى أمى متوقعة انهيارها أو ارتباكها على الأقل. كان ثباتها أمام المفاجأة أمرا غير متوقع من جانبى تماما.تعاملت معها بلطف ومودة فائقتين.كانت ترغب بقوة فى التوددااليها رغم أنها غريمتها وزوجة حبيبها، لكن حبيب الحبيب فى عرف العشاق حبيب. دعتنا بكرم أصيل لتناول الغداء معها وأصرت على ذلك بشدة. كم أنت قوية يا أمى وواثقة من نفسك ومن كل ما تفعلين حتى لو اعترضت عليه الدنيا بأسرها. فى تلك اللحظة تلقت السيدة نبأ سقوط زوجها فى الحمام.انهارت تماما وقررت العودة فورا الى الاسكندرية بمفردها. حضر زوج لؤلؤة بعد أن حجز لها تذكرة بالطائرة بعد أن رفضت عرضه الملح بأن يسافر معها هو وزوجته. أثناء انتظار حضوره كانت أمى تربت على ظهر بستان وصدرها بحنان صادق فياض محاولة طمأنتها ، بينما كانت لؤلؤة تجرى اتصالاتها مع بعض أفراد الأسرة ليتوجهوا لنجدة شوقى ورعايته لحين وصول أمها خلال ساعات. انه مهما بلغت براعتى فى القدرة على النفاذ الى أعماق النفس البشرية ، فلن أستطيع التوصل الى مثقال ذرة من الأحمال التى كان ينوء بها صدر أمى من مشاعر وانفعالات قاسية صعبة أليمة قرأتها على وجهها فى تلك اللحظات. كانت قوية ثابتة قادرة على إخفاء البراكين التى تغلى بداخلها فى عبقرية نادرة. راحت تطمئن بستان بعبارات ودودة مخلصة وتعرض عليها كافة أشكال العون والمساعدة الممكنة. تعمدت ألا تنظر فى وجهى ولو لمرة واحدة. حذفتنى من خاطرها تماما ولم تعبأ بالقلق المدمر والحيرة القاتلة اللتان استبدتا بى من جراء تلك المواجهة التى أعادت الى خاطرى إثارة المعضلة من جديد: أن تحب أمى رجلين فى وقت واحد.

****

صفوت ضرغـــام

****

لعل ارتطامك بالمائدة قد أعاد اليك صوابك. لبنى انسانة محترمة بكل ما تعنى الكلمة. طيبة. صادقة. ناهيك عن جمال وجهها فأنت لاتفهم فى الجمال كما يصفك دوما صديقك مدرس اللغة العربية.خدومة. محسنة على الفقراء. تسعد لإسعاد الاخرين. تتفانى فى خدمتك وخدمة أبنائك. لم تقصر يوما تجاه أيا منكم فى شىء. تصفها بالفجر والاجرام وتسبها. أنت الذى لم تعرف كيف تتعايش مع انسانة بهذا الرقى مما أدى الى ضياع الحب الذى كانت تكنه لك فى بداية الارتباط. انى أعتقد – رغم جهلى بشئون الحب وعالمه الغامض – أن الحنين الى مشاعر الحب التى خمدت قد جعلها تتصور أن رفقة جديدة لرجل آخر قد تروى هذا الظمأ، ولعلى أكون عادلا لو التمست لها العذر فى ذلك ولو بينى وبين نفسى فقط. اذن فماذا ستفعل معها وكيف تتصرف وأنت تحمل هاتفها فى يدك وتنوى اطلاعها على كل ما اطلعت عليه من فضائح،أم ترى أنه من الأفضل أن تواجه به غريمك فقط وتعطيه درسا فى الأخلاق؟..كنت تتشدق دائما بأنك لاتغار عليها لشدة ثقتك بها. الحقيقة أنك كنت تغار عليها بحكم اعتقادك فى ملكيتها مع ضمان حيازة هذه الملكية والاستحواذ عليها. تلك غيرة باطنية مرضية تختلف عن غيرة الرجل العادية على امرأته. انك كنت تريد – حتى ولو لم تكن تدرى أنك تريد – أن تسجنها فى إطارك الشخصى بأن تحاول احتوائها والسيطرة عليها كسلطة زعامة حتى فى ممارسة الجنس رغم ندرة حدوثها. لقد ساهمت بغبائك الاجتماعى فى غياب السعادة والفرحة عن قلب هذه السيدة الرائعة التى يحبها الملايين والتى لاتتورع عن التضحية بحياتها فى سبيلك لو اقتضى الأمر.

ارجع الى عقلك ياصفوت وابحث عن حل سلمى راق لهذه المأساة. أنظر الى الفروق الهائلة بين صفاتك وصفاتها وتعلم منها كيف تكون إنسانا. أنت عاشق للتملك محب للاستحواذ والاكتناز.أنت نهم قلق متوتر متعب. ملكاتك الداخلية غير متجانسة. لاتعرف كيف تحب البواب والساعى وأولادهم. كم مرة جلست على نجيل أخضر وتمتعت بتأمل الورود والأشجار؟رح ياشيخ. أنت بنى آدم مقرف لاتعاشر.. وهاهو الهاتف اللعين وقد انتهت علاقتى به الى الأبد.

ألقيت به فى النيل غير نادم. سأنكر صلتى به متى سألتنى عنه فأنا أجيد الكذب. هذا هو قرارى النهائى فى مواجهة المأزق.ياصفوت واجه الحقيقة ولو لمرة واحدة فى حياتك.أنت تحب لبنى، لكنك لاتعرف السبيل الى قلبها. كم مرة ربتّ عليها وقبلتها فى خدها؟ كم مرة ألقيت عليها نكتة أضحكتها؟ كم مرة ضممتها الى صدرك بأحد ذراعيك أو بكليهما.كم مرة قلت لها " أحبك يالبنى"؟ كم مرة زغزغتها فى جنبها فجأة وهى تعد لك الطعام حتى تنطلق من فمها ضحكات السعادة . لقد كنت بارعا يارجل فى قتل الفرحة فى قلبها وروحها. المواجهة الآن لن تفيد بل قد تؤدى الى كارثة. من الأفضل أن تعيد النظر فى كيفية معاشرة انسانة تحمل مواصفات لبنى.

حزمت حقيبتى وتركت للبنى رسالة اعتذار عن سفرى المفاجيء بعد أن اختلقت مبررا وهميا ربما يكون مقنعا، وعدت الى الاسكندرية بدموع حارقة حبيسة.

****

لبنى سعيـــــد

****

آه من تلك الآهة الملتاعة التى ندت عن صدر بستان."حبيبى ياشوقى!!"..لم تكن لهفة زوجة على زوجها بقدر ما كانت لهفة محبة على محبوبها. هذا القدر من الحب الجامح يقزّمنى أمام نفسى رغم اعتزازى الفائق بها. يضاعف من شعورى بالظلم والأسى حين أذكر وصف أستاذ الأزهر المحترم لى بالخائنة. أصابنى تحول تدريجى لم أعرفه من قبل فى مشاعرى تجاه صفوت، جعلنى أتباعد عنه كلما اقترب منى بسذاجته الفجة الخالية من الرقة. أكتم بداخلى تعاستى معه وأخفيها عن شوقى صونا لكرامتى وكبريائى وحرصا على استقراره مع زوجة عاش معها تاريخا طويلا من الحب والتوافق الحقيقيين كما أتصور .أتمزق من داخلى لعجزى عن فض مكنون قلبى الحقيقى لمخلوق عن مشاعرى المذبوحة فى طيات ضلوعى. أعانى فى الليل والنهار من قلق حنون وشغف موجع وبلبلة فى المشاعر مبهمة تفيض بالمرارة. انقسامى بين رجلين صار يعذبنى أكثر من مشاهدتى لتلك الآهة الهلوعة واستماعى اليها. من يريد أن يملك الدنيا والآخرة فلن يملك احداهما. عشت سنين عمرى أتقى الله فى زوجى لأننى تربيت على الفضيلة، لا لأننى أخاف من مجتمع مكبل بالمراسم والطقوس والمفاهيم الزائفة. حافظت على طهر جسدى وارتقيت به حفاظا على تاريخى الانسانى واحتراما له، حتى لا أوصف يوما بالخيانة من رجل أعمى البصيرة تعود أن يعيش كالخفافيش فى سراديب مظلمة من الفكر السلفى المتحجر. أحمد الله أن رجال الدين وكهنته فى مصر بلادى بعيدون عن السلطة، لأنهم لو تحالفوا معها أو سيطروا عليها لكان مصيرى الإعدام فى ميدان عام. الله يحب مصر مثلما أحبها أنا وشوقى وزوجته، لذلك فقد حماها دوما من أمثال هؤلاء الظلاميين أعداء الجمال.

انها كارثة أن تتزوج امرأة مثلى وبمواصفاتى من رجل مثل صفوت يعادى كل ماهو جميل. يجب أن أواجه نفسى بأننى أخطأت خطأ عمرى فى هذا الاختيار، وأن الفجوة الروحية الرهيبة التى تفصل بيننا لايمكن أبدا أن تزول. ان الجمال عنده فى ورق البنكنوت ، والجمال عندى فى شمس الحقيقة الكلية وأصل الجمال الأزلى المطلق الذى يبعث بأنواره العلوية الى القلوب الصافية المصقولة فينعكس عليها جمالا دنيويا نسبيا فى الطباع والمشاعر. والجمال فى أى صورة من صوره هو بعينه صنو الجمال فى أى صورة أخرى، فهل يعرف صفوت شيئا عن هذا أو يشعر به أو يدرك أهميته؟..الأمر الذى يكاد يفقدنى عقلى واتزانى فى أحيان كثيرة أنه يتصرف ويتكلم بثقة شديدة كما لو كان العارف الأوحد بحقائق الحياة. انى أنزعج بشدة من هؤلاء التافهين الذين يتحذلقون بآرائهم الساذجة فى وقار شديد وبثقة متناهية ، كما لو كانت تلك الآراء حقائق يقينية لا جدال فيها ، وهم نوعان أحدهما كاذب ويعرف أنه كاذب لأنه واثق من جهله، والآخر كاذب لكنه لايدرى أنه كاذب فهو يعتقد أنه عالم بما يقول، والثانى مسكين أكثر من الأول ، وهو صفوت بعينه ولحمه وشحمه. كم مللت فقر فكره وفكر فقره الى فن الحياة. حتى ارتباطه بالدين ملجأ العوام والخواص وملاذهم فهو ارتباط هش. سألته مرة أن كان يعرف ـ وأنا واثقة انه لا يعرف ـ ماهى فلسفة الدين فى المال الذى يعشقه ويكرس حياته فى خدمته واكتنازه . قال لى ساخرا:

- منك نستفيد يا أستاذة

تجاهلت سخريته وقلت أكسب فيه ثوابا:

- المال ياصفوت هو وسيلة لإعمار الأرض وفتح أبواب الرزق للناس. لا أحد يملكه ملكية خالصة أو أبدية لأنه سوف يموت ويتركه لمن بعده. وهو فى البداية والنهاية مال الله ونحن مستخلفون فى الأرض لإنفاقه طبقا لأوامر الله.

- الله يفتح عليكى ياشيخة لبنى.. أنا جوعان

ان العلاقة منعدمة تماما بين هذا الرجل وبين الجمال العقلى الروحى الذى لاسبيل الى ادراكه بالحس كما يدرك جمال ورقة البنكنوت أو جمال وجه امرأة صادفها وجها لوجه. كيف

بالله منحته جسدى طيلة عمرى الذى مضى، وكيف سمحت لنفسى بارتكاب هذه الجريمة الشنعاء تحت ذريعة تربية الأولاد والحفاظ عليهم من التشتت الأسرى. وانى أتساءل أيهما كان أفضل وأحق أن يكون من باب العدل: أن ألقى بنفسى فى حريق القبح أم أن أمنح روحى حقها فى مشاهدة جمال الوجود، وأن أنعم بجمال الحب العفيف الراقى المتسامى، والذى هو دينى وايمانى؟..لقد بعدت المسافة كثيرا بينى وبينك ياصفوت وآن الأوان لوضع نهاية لهذه المهزلة.

عشت حياتى راهبة فى محراب الفن الراقى العصرى أبثه كل طاقاتى ورغباتى وانفعالاتى. استغنيت عن كل ما يحتاج اليه الانسان بالفطرة التى فطرنا عليها. أى ظلم أعانى وأى إثم يرتكب فى حقى وأنا أتحرق فى بوتقة الوحدة سنينا من زهرة عمرى وقد عاهدت الله أن أرعى أسرتى بما يرضيه ، وإذ به يشفق على حالى ويهدينى الى طريق أخضر ملؤه النور والسلام، يسوقنى دفعا الى الأمام ويعلو بى صوب مدن الأحلام الجميلة. حبانى خالق الكون العظيم بتكريم يتمناه كل انسان جزاء لوفائى واحترامى لذاتى ولكل ماهو انسانى جميل فى دنياى. أهدانى الرحمان قانونا للحب لا لأكتبه فقط ، وإنما لأعيشه علّه يخفف من غلواء تعذيبى الشديد بوجدانى الممزق.

أحسست برعشة تنتابنى. بلغ بى التوتر مداه وقد اعتصرت أعصابى تلك الأفكار. تناولت قرصين من عقار مهدئ وقلت أستريح قليلا من ذلك العذاب السادومازوكى. لم أشعر بنفسى إلا والفجر يؤذن بعد ليلة هاجت فيها خواطرى وأنا أحلم ببستان وآهة بستان وعظمة بستان.فتحت نافذة غرفتى. النيل العظيم الخالد يطل علىّ بسحره وغموضه . يواجهنى بكل ما أنوء به من أحمال.كلنا سنموت وسيبقى هو الى أبد الدهر.

"أين يا أطلال جند الغالب / أين آمون وصوت الراهب
وصلاة الشمس.وهمى طاربى/ نشوة تزرى بكرم العاصر

أنسام الربيع تنفث سحرها وعطرها فى الهواء البارد المنعش. أرهف ذلك المشهد الفجرى احساسى وانفعالى بزقزقة العصافير على أشجار الفندق، وتساقط ندى السماء على الزهور المنثورة أمام النافذة..

علاقتى بصفوت أصبحت تبعدنى عن الله.فلتكن وسيلتى للقرب منك ياربى هى البعد عن صفوت. أسألك الحرية يارب. لقد اختبرتنى بحب شوقى لأتعلم الرحمة وليمتلىء قلبى بنور الحب الذى هو نور الايمان. يا الهى لقد أنهكتنى التجربة ، فأكمل طريقى الى نورك حتى ألقاك طاهرة عفيفة كما كنت وكما زلت، ولا تدخلنى فى تجربة أخرى، فلو شاءت إرادتك لكان الليل الحالك ناصع البياض.

هدلت يمامة بصوت حكيم ، وفى هدأة الفجر نطق السكون فسمعت صوت تساقط الدقائق على الرقائق وتوحشت الروح من وداعة الشجن بين أنغام موسيقا صامتة تنشرأنغامها فى فضاء الكون . آه لو تعلم يافجر طاف فى بحر الزمان كيف قتل زوجى بهجة روحى، واغتال فرحة قلبى دون أن يدرى!!

أصبحت الآن على يقين من أن السعادة هى وسيلة الفضيلة مثلما أن الفضيلة هى وسيلة السعادة.. لم يعد أمامى من مفر ، فمن لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب. لقد رأى الرومان فى أنطونيو خائنا لامبراطويتهم بسبب عشقه لكليوباطرة، فتجيشوا للتخلص منه وتهيئوا للتنكيل بعشيقته ، لكن العاشقان تخلصا من حياتهما وماتا منتصرين للحب والعشق والحياة. لست جبانة ولا متهورة ،وإنما سأكون الشجاعة نفسها فهى الوسط الذهبى بين الجبن والتهور.

أخذت شهيقا عميقا جدا. شعرت بارتياح لم أشعر به من قبل، فقد قررت أن أعترف لصفوت بحبى لشوقى وليكن مايكون.

****

الزمـــــــن

****

يبدو أن ثنائياتى العديدة لم تختلف كثيرا فى تناقضاتها عن الثنائية الجدلية التى تعذب شوقى وتوقعه من حين لآخر صريعا لأزمات نفسية متعاقبة يصحبها شعور بعدم الرضا عن النفس لأنه يخون رجلا لايعرفه لمجرد أنه يحب زوجته حتى لو لم تتجاوز ملامسته لها مصافحة اليدين عند اللقاء. انا أعانى من ثنائيات عديدة متعلقة بالكون والحياة والانسان مثل الوجود والعدم والميلاد والموت والثبات والحركة والحضور والغياب والزوال والديمومة ، رغم أنها ثنائيات تتصل بحركتى فى علاقتى مع العاشقين وغيرهما من البشر. وكما أننى موكل بهما متولج فى تفاصيل حياتهما بحيث لايفوتنى منها شىء ، فأنا موكل بالوجود نفسه أى بهذا الكون حيث أغير من وجهى وأبدل من مظهرى فإذا أنا ليل ثم نهار وإذا أنا صيف ثم شتاء، وإذا أنا راض ثم غاضب وإذا أنا ساكن وإذا أنا ثائر غضبان.

قررت لبنى- بدعم منى – أن تعلن لزوجها أنها تحب رجلا آخر غيره.لم أمنعها من اتخاذ هذا القرار الذى وجدت فيه خلاصها. كنت قد حذرتها منذ البداية أنها هى وحدها المسئولة عن احتواء شوقى بحبها الذى أسبغته عليه بينما كان هو فى طريقه الى السعادة من باب العزلة والاستغناء، فقلبت حياته رأسا على عقب وأعادت الى روحه الطمع فى المزيد من الاغتراف من مباهج الحياة ولذاتها بأن يخضع لهذا الحب ويمتثل لرغبات من سقطت به علي حياته من السماء.

لست أعلم ما الذى سيحدث وإن كنت سأعرفه وقت حدوثه. ليس الذى يؤرقنى هو احتمال تدمير بيت الزوجية الذى عاشت فيه لبنى زمنا طويلا من عمرها ،ولا ما قد يتبع ذلك من آثار ضارة على أولادهما وربما على أسرة شوقى أيضا. الذى يؤرقنى هو أننى لست أعرف لماذا قبلت بذلك مضحيا بالأسطورة التى تعهدت من قبل برعايتها.ربما يكون تعاطفى الخفى مع شوقى ورغبتى فى انقاذه مما يعانيه من عذاب وما تعانيه زوجته من قلق، هو الذى جعلنى أترك لبنى تقوم بهذا الفعل الجرىء الى درجة التهور. إذ انه من المستبعد أن يقول لها زوجها صفوت:"لابأس ياحبيبتى. أنا غير معترض على هذا الحب مادام يسعدك" لكنه ليس من المستبعد أن يطلقها ،ولن يشغلنى ماذا ستفعله بعد ذلك ، أو ماذا سيكون من أمر شوقى معها فى هذه الحالة.الذى يهمنى ويشغلنى هو تحرر شوقى من ثنائيته المهلكة ودهشته الدائمة وعودته الى حياة العزلة السعيدة بعيدا عن الحب بعيدا عن المرأة، وهذا ما اتوقع أن يكون كأول توابع للزلزال.

المشكلة أننى متعاطف أيضا مع لبنى لكن بصورة مختلفة، فهى انسان لايستطيع أن يعيش بغير أن يحب. العاطفة عندها هى المحرك الأساسى لارادتها ومن ثم فعلها أو سلوكها. كل شىء فى حياتها يبدأ من الحب . ينبع منه ويصب فيه. يبدأ منه وينتهى اليه. رغم ذلك فقد احتملت مواصلة الحياة مع صفوت بلا حب من أجل أولادها فى البداية، ثم بعد ذلك لكى تسعد بحبها لشوقى وتسعده بهذا الحب، فكيف أتركها تفعل ما تريد؟!..

لقد أشفقت عليها من مرض الحب الذى عصف بكيانها ، والذى وصفه فيلسوف بأنه "يثير فى أعماق البشر صراعا بين ذكائهم الواعى وإرادتهم الوضيعة. ان المحب يعجز عن أن يرى المحبوب إلا متأثرا بمشاعره تجاهه أو رغبته فيه، فلا يعرف على وجه الدقة هل هو جميل أم قبيح.نبيل أم مخادع..كل ما يعرفه هو أنه بحاجة اليه ، وهنا يكمن المرض".. لكن شاعرا فارسيا عرج بى الى طريق معاكس حين عبر عن تقديسه للحب بقوله:" ان القلب الخالى من ألم العشق ليس قلبا ، والجسد الذى لايؤرقه القلب ليس إلا ماء وطينا ، ، فحوّل قلبك من العالم صوب مواجيد العشق فإن عالم العشق عالم لطيف، فلا خلا من أحزانه قلب آدمى ، ولا كان فى العالم قلب بدونه ، فكن أسير العشق تصبح حرا، واملأ صدرك بأحزانه تصبح سعيدا. إن شراب العشق يمنحك الدفء والنشوة وما عداه تجمد وأنانية".. وقال صوفىّ:" ما عشق حكيم قط ، لأن قلوب الحكماء أشد تمنعا عن أن توقفها صورة من صور الكون مع شدة طلبها

، فهى أبدا تلحظ وتخطف ولا تقف. وقلّ أن يحصل عشق من لمحة. وقلّ ان يضيف حكيم الى اللمحة نظرة، فإنه مار فى طلب المعانى ، ومن كان طالبا لمعرفة الله لاتوقفه صورة عن الطلب ، لأنها تحجبه عن جلالة المصوّر".. وقال فيلسوف:" ان العشق فضيلة تنتج الحيلة وتشجع الجبان وتسخى كف البخيل وتصفى ذهن الغبى وتطلق بالشعر لسان الأعجم وتبعث حزم العاجز الضعيف، وهو عزيز يذل له عز الملوك وتضرع له صولة الشجاع. اليه تستريح الهمم وتسكن به فواتر الأخلاق والشيم ، يمتع جليسه ويؤنس أليفه ، وله سرور يجول فى النفوس وفرح يسكن فى القلوب".

كم حيرنى البشر فى نظرتهم للحب حتى أصبحت تائها بين أقوالهم وأفعالهم.. لذلك سوف أتركها تفعل ما تريد ، ولن أخاف عليها ، فهى تملك من القدرات الفذة ما تستطيع بها ادارة شئون حياتها فى أحلك الظروف. الدليل على ذلك أنها صنعت لنفسها معادلة للتعايش بنجاح لسنين عديدة مع رجل لايعبأ بوجودها كأنثى على قيد الحياة، من قبل أن تتخذ هذا القرار، وكأنها قد جمدت قلبها ومشاعرها طيلة هذا العمر وتعاملت مع حياتها بعقلها فقط حتى أحبت شوقى فوهبته قلبها، أما عقلها فما زال فى عنفوانه تدير به حياتها مع كل من الزوج والحبيب باقتدار معجز، وكأنها تدير مؤشر الراديو على المحطة التى تود الاستماع اليها فى وقت ما.

أنا لا أستطيع أن أتعدى على القدر أو أن أدعى المعرفة بالغيب، لكنى خائف أن يدمر ذلك الاعتراف عش الحب السعيد الذى جمع بين العاشقين، ذلك أننى مازلت رغم كل ماحدث أريد لهما نهاية سعيدة تختلف عن نهايات كل قصص الحب العسير المنال بين المتزوجين العاشقين. أول نتائج هذا الاعتراف هو تحرر شوقى النهائى من شعوره المذل بالإثم والخيانة حتى لو كان هذا الشعور واهيا واهما، فليس هناك ما هو أشقى من النفس المغلقة المنطوية على أسرارها وأحزانها، العاكفة على همومها، والتى لاتجد متنفسا للشكوى ولا منفذا للاعتراف. نتيجة أخرى لا تقل أهمية هى أن لبنى ستتحرر من طول خداعها لصفوت وإحساسها بالعجز عن مواجهته، وشعورها النسبى بالإثم لمنحها قلبها لرجل وجسدها لرجل آخر. الاحتمالات عديدة لاحصر لها. لكن كيف ستكون على وجه التحديد.هذا ماسوف يكشف عنه القدر لى ولهما. حتى لو كانت هناك جراح فسأداويها وأتعهدها بالرعاية، لكنى لن أسمح أبدا بنهاية حزينة تعسة لحب أسطورى عظيم. رقيق كالنسيم. ناعم كالحلم. حب احترت فى أمره وفى تعاكساته المثيرة المرهقة. فهو جبان متهور.شجاع مغامر طائش لاجنسية له ولا وطن ولا دين . لاقانون له ولا نظام. نور ونار. جبار فاجر حلال حرام. ثائر مشتعل ساخن ملتهب. مغيب مسكر بهيج مؤلم مستور مفضوح. طرى كورقة ورد صلب كالحديد.جنة وجحيم.مجنون قدرى متقلب.موت وحياة. . سكر وصحوة. فناء وبقاء .

سوف أمنح الخلود لهذا الحب ليبقى أسطورة فى ذاكرة قلوب كل العاشقين من بعدهما.. وسوف يحيا حب شوقى ولبنى كما الآلهة الى لا نهاية الأزل.

****

سعيد سالم

الاسكندرية فى 2016/5/15

تعريف بالكاتب "سعيد سالم"

E mail,,,saidsalem170@hotmail.com ,, saidsalem62@yahoo.com

سعيد محمود سالم- من مواليد الاسكندرية 1943... face book:saeed salem

- عضو اتحاد كتاب مصر و عضو اتحاد الكتاب العرب و عضو هيئة الفنون و الآداب و عضو أتيليه الفنانين و الكتاب وعضو لجنة النصوص الدرامية باذاعة و تليفزيون الاسكندرية سابقا .
- حاصل على ماجيستير الهندسة الكيميائية من جامعة الاسكندرية 1968 .
- رئيس قطاع سابق بشركة الورق الأهلية بالاسكندرية وحاليا على المعاش.
- عنوان المنزل : 5 شارع على باشا ذو الفقار – شقة 10 – مصطفى كامل / الاسكندرية .
- تليفون منزل : 5462869 (03) . – محمول 4390259 / 0122

الروايات (16 رواية)

"جلامبو" جماعة أدباء الاسكندرية 1976 – "بوابة مورو" جماعة أدباء الاسكندرية – "عمالقة أكتوبر" هيئة الكتاب ، مصر 1979—"آلهة من طين" (طبعة أولى) هيئة الكتاب ، مصر 1985 / (طبعة ثانية) دار الجليل ، دمشق 1986 – "عاليها أسفلها" (طبعة أولى) مطبوعات وزارة الثقافة ، دمشق/سوريا 1985 – "الشرخ" دار طلاس ، دمشق/سوريا 1988" – "الأزمنة" روايات الهلال 1992 – "عاليها واطيها" (طبعة ثانية) دار المستقبل مصر 1992 – "الفلوس" دار المستقبل ، مصر 1993 – "عاليها أسفلها" (طبعة ثالثة) هيئة الكتاب ، مصر 1995 – "الكيلو 101 الوجه و القناع" طبعة خاصة 1997 و طبعة عن هيئة الكتاب 1999.- "حالة مستعصية" دار الهلال 2002 – " كف مريم" مطبوعات اتحاد الكتاب 2001.-"الشيء الآخر".دار ومطابع المستقبل 2004- الحب والزمن.(نشرت مسلسلة بجريدة الدستور على 13 حلقة)عام 2007 ثم بروايات الهلال عام2011.. المقلب-مطبوعات المجلس الأعلى للثقافة(2009)- الفصل والوصل2016 هيئة الكتاب2016 – استرسال(تحت النشر)

المجموعات القصصية :(11 مجموعة قصصية)

"قبلة الملكة" مطبوعات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق 1987 – "رجل مختلف" هيئة الكتاب ، مصر 1995 – "الموظفون" مطبوعات اتحاد الكتاب العرب 1991 – "الجائزة" دار قايتباى للطباعة و النشر ، مصر 1994 – "الممنوع و المسموح " مختارات فصول.مصر 2002.- "أقاصيص من السويد"الهيئة المصرية العامة للكتاب2005– "قانون الحب"سلسلة الكتاب الفضى.مصر2006 ،هوى الخمسين(نهضة مصر)2011، الكشف.(هيئة الكتاب)2013 رحيق الروح(المجلس الاعلى للثقافة)و المعضلة الكبرى.(هيئة قصور الثقافة-مختارات 2016

** كتاب نقدى بعنوان"الاسكندرية قبل25 يناير فيض من الابداع المتألق".مكتبة اسكندرية2015 و**كتاب بعنوان"نجيب محفوظ الانسان" سلسلة نجيب محفوظ.هيئة الكتاب 2011

القصص القصيرة منشورة بالجرائد و المجلات الآتية :

الأهرام – الأخبار – الجمهورية – المساء – أكتوبر – حواء – مايو – الهلال – الثقافة – الكاتب – ابداع – آخر ساعة – روز اليوسف – القصة – عالم القصة – أمواج – الاسكندرية – الأيام – البحث – تشرين – الموقف الأدبى – الثورة – الأسبوع الأدبى – الكتاب العربى – البيان – الأنباء – العربى – الفيصل – المجلة – الحرس الوطنى – الشرق الأوسط – الدستور – الرأى – – صباح الخير – الناشر – العربى – الكويت .

المسرح :الجبلاية (مسرحية كوميدية3 فصول) – الدكتور مخالف (مسرحية كوميدية 3 فصول) .

نماذج من الدراما الاذاعيةوالتلفزيونية :

حجر النار – العائد – سباق الوهم – بوابة مورو – زارع الأمل – رحلة الصعود و الهبوط – رجال من بحرى – الدكتور مخالف – أحلام الناس الطيبين – عيون الليل – مفتاح السر- الحب والزمن و غيرها وهى مسلسلات اذاعية شهرية باذاعتى الاسكندرية و القاهرة ، فضلا عن العديد من السهرات الكوميدية وبرنامج عالم القصة..والمسلسل الكوميدى التلفزيونى" عاليها واطيها انتاج " صوت القاهرة 2008 ..والمسلسل التلفزيونى الدرامى"المقلب" ..تحت التنفيذ.

فى النقد الأدبى :

مجموعة مقالات نقدية عن أعمال بعض الكتاب العرب نشرت بمجلات و جرائد مختلفة .

أهم الجوائز :

1- الجائزة الأولى عن رواية "الأزمنة" فى مسابقة احسان عبدالقدوس للرواية 1990 .

2- جـــائزة الدولـــة التشـــجيعية فـــى القصـــة لعـــام 1994 عـــن مجموعـــة (الموظفـــون) الصـــادرة عـــام 1991 عـــن مطبوعات اتحاد العرب بدمشق .

3- جائزة اتحاد كتاب مصر فى الرواية لعام 2001 عن رواية "كف مريم".

4- جائزة اتحاد كتاب مصر فى الرواية لعام 2010 عن رواية المقلب.

5- **جائزة الدولة التقديرية فى الآداب لعام2012**

6- **وسام الجمهورية للعلوم والفنون من الطبقة الأولى عام2013**

7- **رشح لجائزة النيل عام2017**